المكتبة العربية

تصــــدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقـــافة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

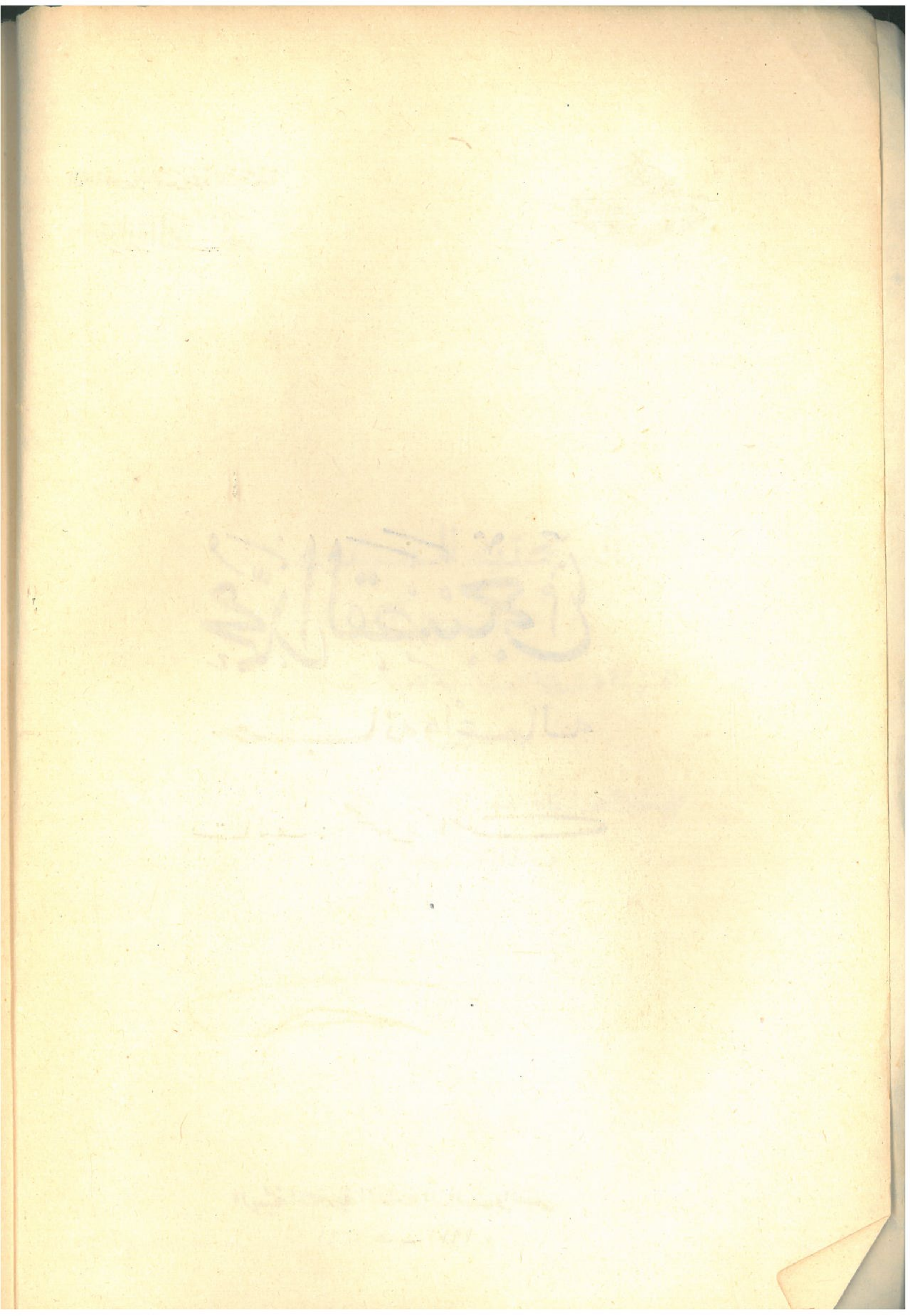


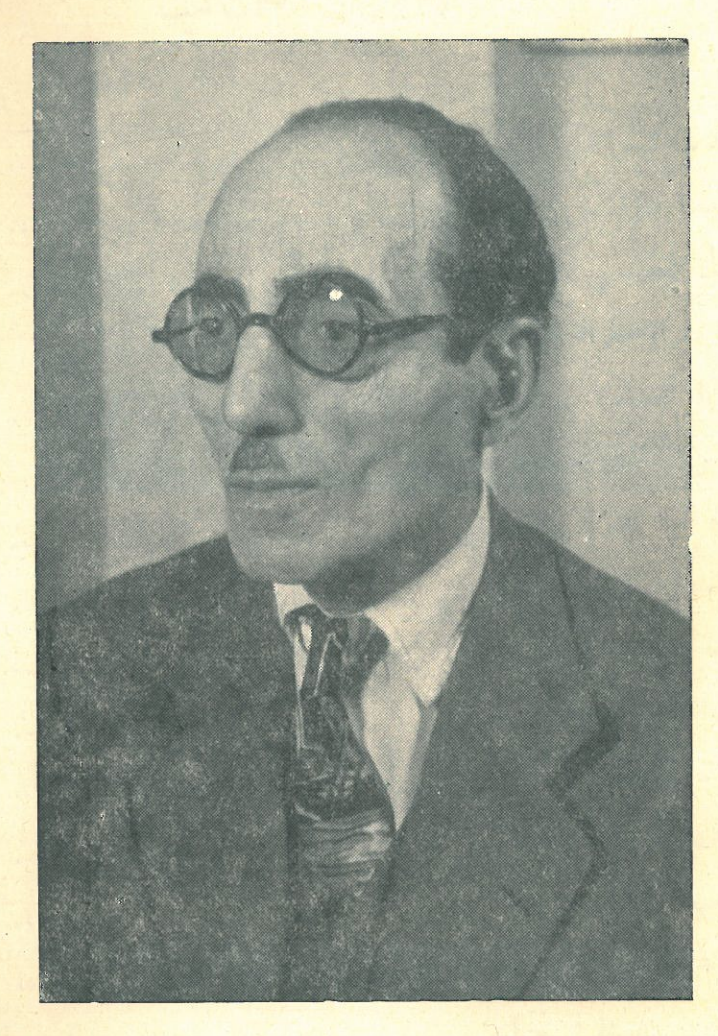
محمد القصبجي

حياته وأعماله

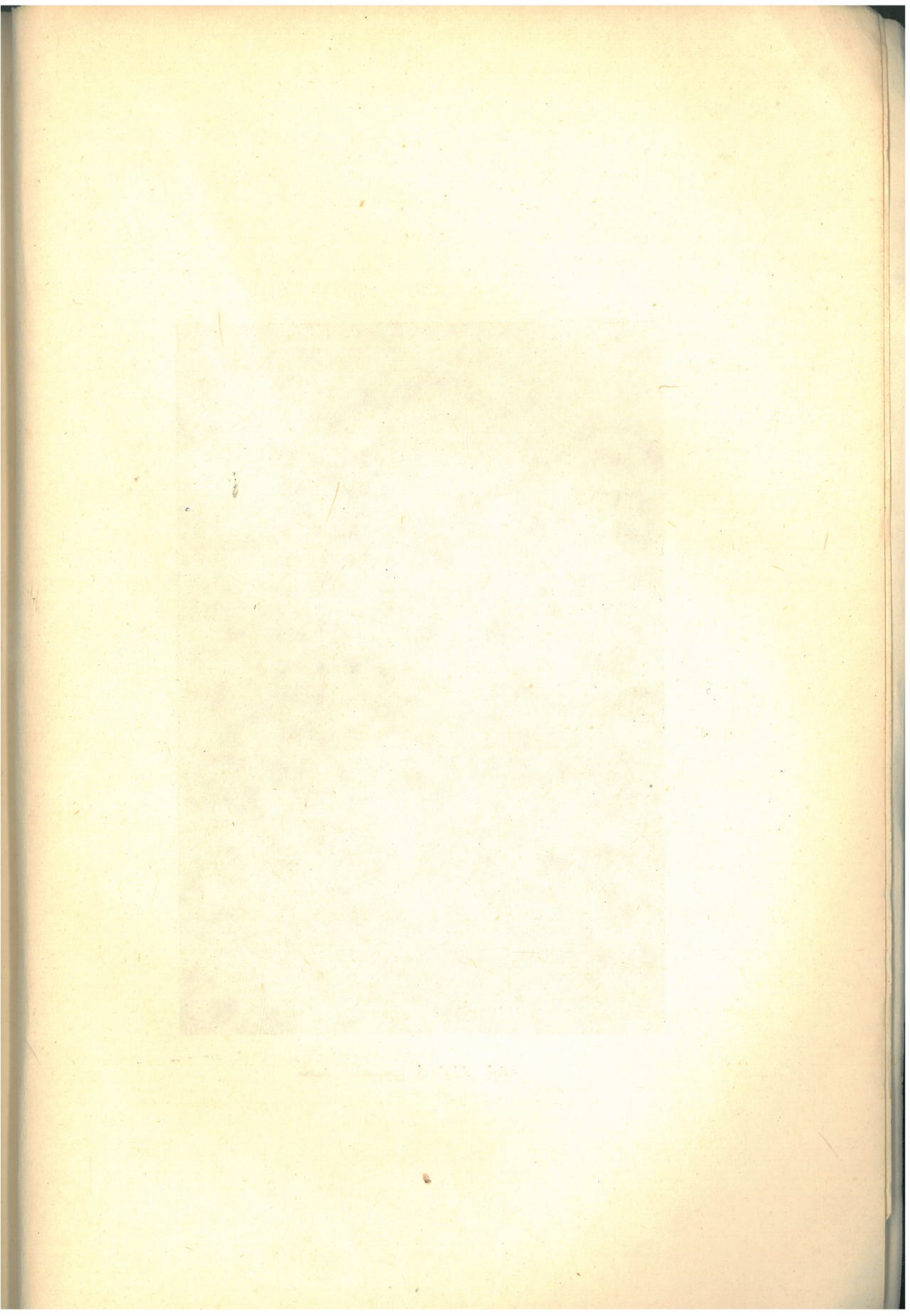
تأليف : محمود كامل

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م





محمد القصبجى فى أواخر أيامه



فهرس الكتاب

الصفحة

تقـــديم

احمد شفيق ابو عوف

رئيس معهد الموسيقى العربية

لاشك أن سر الأعلام فى كل ميدان من ميادين حياتنا هى المنارات التى تضىء لنا مسالكها، والتى نستلهمها بين الحين والآخر لنترسم الطريق السوى فى كل ما يعن لنا من أمور الحياة . والكتاب الذى بين يدى القارئ يلقى كثيرا من الضوء على أحد الأعلام الموسيقيين العرب، الذين تركوا لنا آثارا موسيقية لعبت دورا هاما فى تشكيل ثقافتنا العربية وتضويع حياتنا بأريج فيه عطر الشرق الخالد . وقد جرى العرف أن تتناول الأقلام كل مفكر بعد أن يمر على وفاته وقت طويل، حتى تتبلور أعماله وشخصيته فى أذهان المفكرين، فيكتبون عنه بعد أن تتم هذه المرحلة التى كانت أحيانا تستغرق أعواما طويلة . ولكن من حسن حظ القصبجى أن كان له من بين الموسيقيين صديق عاش معه معظم حياته ، فكان إلفه الوفى، والصديق الذى لا ينفصل عنه فى أي وقت تسمح به ظروف الحياة .

ولا شك أن هذا الصديق، وهو الأستاذ محمود كامل مؤلف هذا الكتاب استطاع أن يقدم سردا وافيا عن حياة القصبجى ، وأعتقد أنه قد أورد الكثير من المعلومات عن حياة القصبجى ؛ لم يكن باليسير الحصول عليها لولا هذه الصداقة التى أثمرت للقارىء العربى كتابا هو الأول من نوعه حتى الآن :

وقد عرفت السيد محمود كامل منذ بدء قيام ثورتنا الميمونة ، ولمست فيه نشاطا واضحا فى الميدان الموسيقى بصفة عامة ، والموسيقى العربية بصفة خاصة . وقد استطاع أثناء عمله معى باللجنة الموسيقية العليا ، وبمعهد الموسيقى

العربية ، وبمجلس الفنون والآداب ، أن يثبت أنه جدير بأن يصدر مثل هذا الكتاب ، وأن يتحدث عن أعلام الموسيقى العربية بكفاءة وجدارة وثقة . ولا شك أن هذه محاولة سوف تتلوها محاولات أخرى ، مما يثرى المكتبة العربية بذخيرة لا غنى عنها لتحقيق النهضة التى نتشوق إليها .

٢١ يوليو ١٩٦٦

مقدمة

كان مقدرا لهذا المؤلف أن يصدر منذ عامين ، أى فى عام ١٩٦٤ ، أثناء حياة الموسيقار محمد القصبجي ، حين عرضت عليه — رحمه الله — منذ ثلاث سنوات ؛ فكرة تأليف كتاب يتناول حياته وأعماله ، فرحب على الفور ، وأبدى كل ارتياح ، ووجدتها فرصة لاتعوض أن أكتب عن فنان وهو حى يرزق ، حتى لا أعانى ما عانيته من متاعب ومشاق فى تجاربى السابقة عن الفنانين الخالدين : محمد عثمان ، وداود حسنى ، إذ كنت أعتمد فيما أكتب عنهما على الرواة من المعاصرين .

أما فى هذا الكتاب عن القصبجي ، فقد كنت مطمئنا إلى صدق الرواية ، واثقا منها ، لأننى أستقى معلوماتى من الواقع ، وكلما فرغت من كتابة جزء تلوته عليه فى مكان يجمعنا ، وكان رحمه الله يقول : إن الكثيرين وخاصة أبناء الجيل الجديد ، لا يعلمون عن حقيقة أمره وجهاده الفنى الطويل ، وإنتاجه الضخم ، غير النزر اليسير ، وإن الصورة الراسخة فى الأذهان عنه ، صورة مهزوزة ، بعيدة كل البعد عن الواقع ، وكم كان يود أن تكون أعماله وحياته ، وهو حى — كتابا مفتوحا ..

***

وأولى المشاكل التى صادفتنا .. مشكلة حصر إنتاجه ، هذا الإنتاج الذى يمثل جانبا من كفاح القصبجي ، ذلك أنه رغم ما كان يتمتع به من ذاكرة حادة ، فإن هذه الذاكرة لم تسعفه حتى يلم بشتات هذا الانتاج الغزير ، وذكر أسماء مؤلفى الأغانى ومن غنوها من عشرات المطربات والمطربين الذين شدوا بألحانه .. ولقد عشنا فى هذه المهمة نحو ستة أشهر ، هو من ناحيته

يبحث فى أوراقه الخاصة ، وأنا أفتش وأنقب فى الكتالوجات التى أصدرتها شركات الاسطوانات منذ أكثر من ثلاثين عاما ، وفى كتب الأغانى القديمة ، عن ألحان القصبجى ، وأخيرا وفقنا إلى حصر الإنتاج ، وإن كانت هناك بضع أغنيات لم نهتد إلى مؤلفيها أو الأصوات التى غنتها .. ثم خلوت إلى نفسى أؤرخ للقصبجى ، وأترجم وأحلل حياته مستمدا ، ما أكتب عنه من صداقتى الطويلة ومعرفتى الوثيقة به ، التى ترجع إلى أكثر من عشرين عاما ، لم نفترق خلالها ، أزوره ويزورنى ، ونقضى معا أجمل الأوقات ، ونتردد على دور السينما والمسارح ، والحفلات العامة والخاصة ، حتى أصبحت فردا من أسرته ، وأصبح هو من أفراد أسرتى ، يأتمننى على سره ، ويفضى إلى بمشاكله وأوجاعه ، ولازمته فى أيام صحته ، وفى فترات مرضه ، وبلغت الرابطة الروحية التى جمعتنا حدا بعيدا ، حتى إذا ما نشر نبأ وفاته ، كان الأقارب والأصدقاء يقدمون لى العزاء .

***

وانتهيت من إعداد جانب كبير من حياة القصبجى ، ولكن حدثت ظروف أقعدتنى عن التسجيل والكتابة ، ثم مالبث أن اشتد عليه المرض ، فقضينا الوقت كله فى التردد على الأطباء والبحث عن الأدوية ، وعمل أفلام الأشعة والتحليلات الطبية ، إلى أن اختاره الله ، فى اليوم الخامس والعشرين من شهر مارس ١٩٦٦ .

وهكذا لم يكتب لهذا المؤلف أن يظهر فى حياته ، كما كان مقدرا ، وهو شىء يحز فى نفسى ، وإن كان عزائى فى ذلك هو أننى استطعت أن أحقق رغبة وأمنية كانت تراود هذا الفنان الكبير طيلة حياته ، وذلك حينما عهد إلى مجلس إدارة معهد الموسيقى العربية ، أن أقدم هذا المؤلف . وأحمد الله أننى استقيت تاريخ حياته منه ، مما لايدع مجالا لشك ، أو تضارب فى القول .

محمود كامل

نشأته

لم يجل بخاطر الشيخ على إبراهيم القصبجى ، المنشد والمتمرىء المعروف بحارة قواديس بشارع حسن الأكبر بحى عابدين ، حينما رزق بالطفل (محمد) فى اليوم الخامس عشر من شهر إبريل عام ١٨٩٢ ، أنه سيصبح فى يوم ما فنانا مرموقا ، لأنه وقد كان من الموسيقيين المشهورين ، لم يكن يحب أن يكون ابنه واحدا من أهل الفن ، ويود أن ينشأ نشأة دينية بحته ، يحفظ القرآن ويرتل آياته ، ويصبح عالما من علماء المدينة .

أما أمه (عائشة عثمان بشناق) ، فرغم أنها لم تكن متعلمة ، فكانت تتمنى أن يكون إبنها (أفنديا) مثقفا ، يتكلم الفرنسية والانجليزية ويختال بالبدلة والطربوش ، وتفخر به بين أولاد الحى ..

وكانت الأم تعطف على ولدها وتدلله ، ولا ترفض له طلبا أو أمرا ، لدرجة جعلته يصبح أكثر أولاد (الحارة) شقاوة .. ولعل ذلك يرجع إلى أنه الولد الوحيد الذى عاش لها ، فقد رزقت بأربع بنات هن : نبوية ، وحسنه ؛ وحميده ، وسنيه ، وولدين هما : أحمد ومحمد ، ومات أحمد وهو طفل رضيع ، ولم يبق لها إلا محمد ..

***

التحق الطفل بإحدى المدارس الأولية ، وحفظ القرآن وهو فى التاسعة من عمره ثم أدخله أبوه فى عام ١٩٠٣ مدرسة عثمان (باشا) ماهر الابتدائية بالقلعة ، واضطر الطفل أمام المستقبل الذى اختاره له والده ، أن يرتدى العمامة والقفطان ، فقد كان يتحتم على كل تلميذ يلتحق بهذه المدرسة أن يلبس هذا الزى . وكان ناظرها الشيخ أحمد الحملاوى ، شاعرا وعالما

فى فروع اللغة العربية ، كالنحو والصرف والبيان والبديع . ولمح أمارات الذكاء على القصبجى الصغير ، فقربه إليه ، وأولاه رعاية خاصة وكانت أمه يتقطع قلبها حسرة ، كلما وقع بصرها على ابنها ، وهو بالعمامة ، بينما ترى أقرانه يرتدون البدلة والطربوش ، أما الطفل نفسه ، فإنه لم يكن راضيا على الإطلاق عن هذا الاتجاه الذى لايتفق مع ميوله الطبيعية واستعداده الفطرى ، فكان ذهنه منصرفا إلى شىء آخر .. هو الموسيقى ، لقد كان يهوى الغناء منذ نعومة أظفاره ، حين كان يسترق السمع إلى والده وهو يدرب تلاميذه على أصول العزف بالعود والغناء ، فتعلق بالفن ووهبه كل حواسه ، وكان يقدمه على كل شىء فى الوجود ، حتى الطعام ... وكان يغافل والده فيلتقط عوده أثناء غيابه عن المنزل ويعزف عليه بالسليقة ما كان يعزفه والده من أنغام ... وكانت تستهويه نداءات الباعة (السريحة) فى الشوارع والحارات ، وخاصة باعة المشمش والحلاوة السمسمية ، ومن أجمل النداءات التى كانت تأخذه : « المشمش استوى وطاب وطلب الأكال يا حموى ياناعم » وغيرها من النداءات المحببة إلى النفس ، فكان يحفظها عن ظهر قلب ويرددها ..

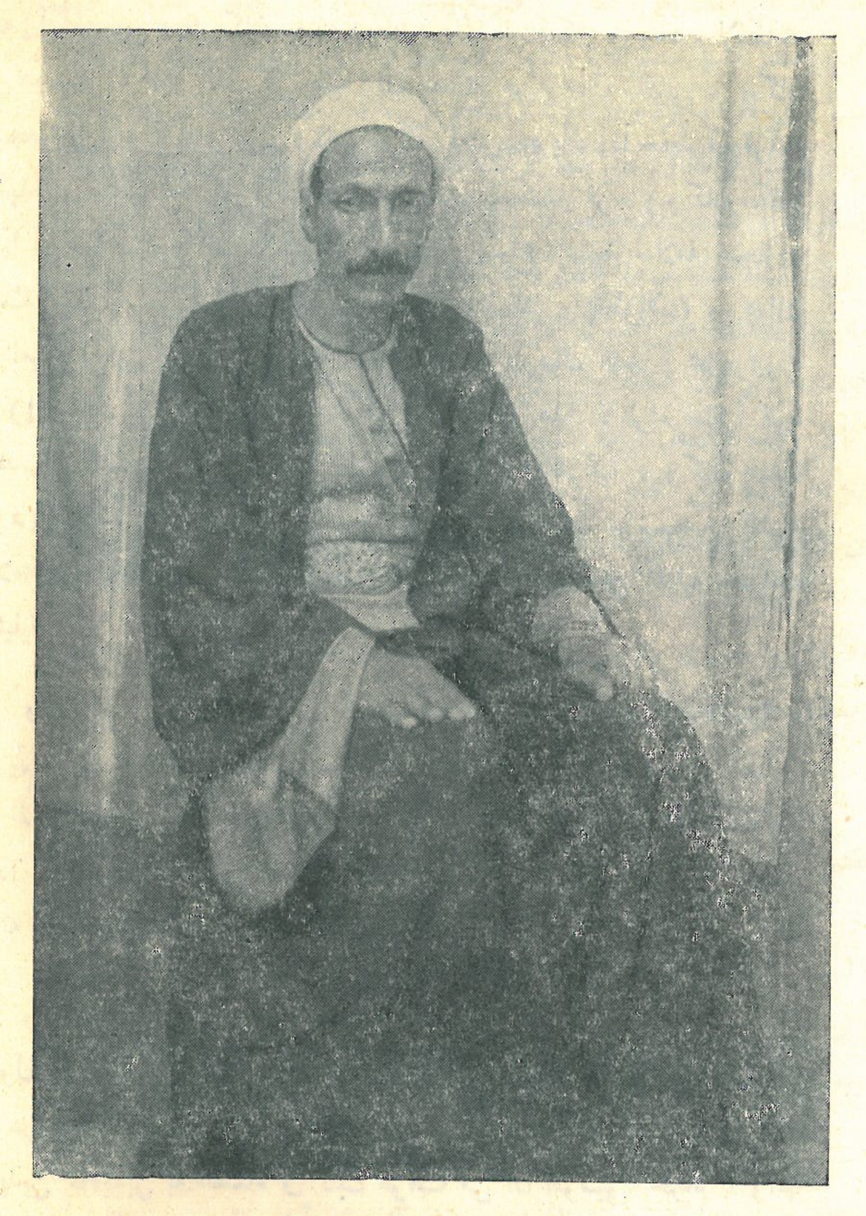
ولم يسعفه مصروفه اليومى الضئيل الذى كان يمنحه إياه والده على أن يقتنى آلة عود ، يمارس عليها هوايته ، فلجأ إلى نجار الحى ليتبرع له بقطعة من الخشب طولها ١٦ سنتيمترا ذات رقبة تشبه إلى حد ما رقبة العود ، وثبت عليه (رزتين) خلعهما من (تختة) المدرسة ، وكان كلما انقطع وتر من عود والده تلقفه وشده على قطعة الخشب وأخذ يداعبه بأنامله ، ليخرج النغم الذى التقطته أذناه .

وكان الطفل سعيدا كل السعادة بهذه الآلة البدائية التى ابتدعها ، وكان يخيل إليه أنه قد آن الأوان — بعد أن حقق أمل والده فى حفظ عدة أجزاء من القرآن — كى يعد نفسه الإعداد الفنى الذى هيأته له الطبيعة

والفطرة ، ولكن القصبجى الكبير لم يبد اهتماما فى بادىء الأمر باتجاه ابنه إلى الموسيقى ، بل كان يعنفه ويطالبه دائما باستذكار دروسه والالتفات إلى دراسته ، فقد كان كل همه أن يصبح من رجال الدين ، وكان يشجعه على هذا الاتجاه الدينى ، لدرجة أنه كان يعده بأنه إذا حفظ آية قرآنية جديدة ، صحبه معه كل ليلة جمعة إلى تياترو إسكندر فرح (وكان مكانه سينما أوليمبيا بشارع عبد العزيز) ليحظى بسماع الشيخ سلامه حجازى حيث كان يعرض رواياته المسرحية مثل (تليماك) و(الطواف) و (ملك المكامن) ويغنى قصائده المعروفة ..(سمحت بإرسال الدموع محاجرى) و (إن كان يوسف للجمال دعاكمو) .. فكان هذا الاغراء حافزا قويا للقصبجى الصغير على أن يحفظ المزيد من الآيات القرآنية ، وكان عندما يعود إلى بيته فى آخر الليل يختلى بنفسه ، ويحاول أن يردد ما سمعه من الشيخ سلامه من ألحان ، وبذلك أصبحت لديه حصيلة طيبة من أغانيه ومواقفه التمثيلية .

وفى عام ١٩١١ أراد الأب ، بعد أن انتهى إبنه من دراسته الدينية ، أن يتم تعليمه فألحقه بمدرسة المعلمين ولكن هواية الغناء كانت قد تأصلت فى نفسه ، وغلبت عليها ، وبدأ يمارسها عمليا ، فكان يغنى ما حفظه من ألحان الشيخ سلامه حجازى بين أصدقائه ، ويحرص على تقليده فى طريقة أدائه ، مما جعلهم يشجعونه على احتراف الفن ...

واكتشف الأب موهبة ابنه الأصيلة ، وتعلقه الشديد بالموسيقى ، فلم يحاول أن يفسد عليه اتجاهه وهوايته ، وخاصة بعد أن وثق بأنه تلميذ مجد فى دراسته الدينية ، ذلك أن والده وإن كان شيخا متدينا ، إلا أنه كان لا يدين بما يدين به العلماء فى ذلك الوقت من أن الموسيقى حرام ، وأنها رجس من عمل الشيطان ، بل كان يؤمن أنها فن رفيع ، يهذب النفس ، ويرهف المشاعر ، وأن الإنسان إذا جمع بين الدين والفن ، كان أكثر



الشيخ على القصبجى والد محمد القصبجى

تقربا إلى الله عز وجل .. فأخذ يشجعه وينمى فيه هذه الهواية الجميلة ، وأهداه عودا من أعواده الثمينة ، واحتضن الوالد ابنه ، وبدأ يعلمه أصول العزف . .

***

وكان للجو الفنى الذى عاش فيه «محمد القصبجى» أثره الواضح فى تكوين شخصيته الفنية وإبراز معالمها ، فإن والده ، فضلا عن أنه كان من أبرز المنشدين الذين كان يعتمد عليهم مشاهير المطربين أمثال : الشيخ محمد الشنتورى ،والشيخ خليل محرم ، فإنه كان عوادا فذا ، وملحنا قديرا ، غنى له زعيم الطرب والغناء عبده الحامولى ، الدور المعروف (تيهك علىّ اليوم بسنين) مقام بياتى ، الذى لحنه من قبل المرحوم محمد عثمان من مقام الجهاركاه . كما غنى له الشيخ يوسف المنيلاوى ، وسيد الصفطى ، وصالح عبد الحى ، وغيرهم ؛ مجموعة من الأدوار (١) المشهورة .

هذا بالإضافة إلى (الطقاطيق(٢) التى كانت تغنيها : المطربة ودوده المنيلاوية والمطرب زكى مراد — والد الفنانة ليلى مراد — والمطرب محمد السنباطى — والد الموسيقار رياض السنباطى — وغيرهم من المغنين والمغنيات .

كما سجل الشيخ على القصبجى مجموعة من الألحان الدينية على

---

(١) من هذه الادوار :

* الانس وفانى وصفالى . والحب آنس لما جانى — مقام عجم مرصع .

*بجماله فرحان والدلال خايل عليه . تيه على العشاق ومين يقدر عليه — مقام حجازكار .

* رضيت زمانى أعاشر . والعشرة مش مستديمة — مقام راست .

* السحر حلال ان كان من لفظك دوا القلب — مقام صبا .

* القلب مشتاق واللى أحبه قاسي وهجر وفراق ياما قلبى يقاسى — مقام سيكاه .

(٢) من هذه الطقاطيق :

* الورد ريحته بتنعش وشرابه للجسم يفرفش — مقام سيكاه .

* يا بنية يا خفة من حقك تعالى . أعمل لك زفة وأكيد عزالى — مقام راست .

* يا تفاح يا سكرى يا ناعم يا مورد الخدين أنا والله هايم — مقام بياتى .

إسطوانات منها : (من لى بإتلاف روحى) و (الهوى أضنى فؤادى) و (أودعت قلبى) و (حبى مليك الملاح) .

***

وفى عام ١٩١٢ بدأت الأبواب تتفتح فى وجه الشاب «محمد القصبجى»، فدعى لإحياء حفلة زفاف بالقناطر الخيرية ، مقابل أجر قدره عشرة جنيهات ، أخذ منه خمسة جنيهات مقدما (عربون) ، وكاد يطير من الفرح لهذا المبلغ الذى هبط عليه فجأة ، ولكنه واجه مشكلة الموسيقيين والمرددين الذين يشتركون معه فى الغناء .. لأنه لم يكن قد وصل إلى مصاف المغنين الذين يصاحبهم عازفون أو مرددون محترفون .. فكون فرقة من زملائه طلبة المدرسة ، ووفقهم الله فى إحياء سهرة (الفرح) ، ومرت الليلة بنجاح أدى إلى أن يمنح والد العريس «محمد القصبجى» جنيهين زيادة على الأجر المتفق عليه ... وكان نصيبه من الإثنى عشر جنيها خمسة جنيهات ، وهو أول مبلغ يدخل فى جيبه عن طريق الفن !!

واستطاع الشاب أن يجمع بين احتراف الفن ، وبين الدراسة بتفوق ، وحصل على دبلوم المعلمين عام ١٩١٤ ، وكان ترتيبه الثالث بين الناجحين ..

***

ولئن كان أعز ما يتمناه كل شاب ، وهو يتطلع إلى حياته العملية فى خضم الحياة ، أن يتلقى خطاب تعيينه فى الوظيفة التى تداعب خياله ، فإن «محمد القصبجى» انتابه الحزن والأسى حينما حمل إليه البريد خطاب ترشيحه مدرسا بوزارة المعارف العمومية ، وظل ساهرا طول ليله لايغمض له جفن ، يفكر فى حيلة يروغ بها من هذا التعيين .. وأخيرا قرر أن يلجأ إلى الرسوب فى الكشف الطبى الذى يعتبر «جواز المرور» بالنسبة لأى عمل أميرى !! ورأى أنه بذلك فقط يمكن أن ينجو من (حبل) الوظيفة الذى يطوق عنقه .

وزارة المعارف العمومية

ادارة التفتيش والسجلات

تفتيش التعليم الاولى

بخصوص تعيينكم عريفا بالمكتب الموضح اسمه بعد

نمرة ٧٢٦٧

الصفحة والجزء

الكوبيا

عدد المرفقات

تحريراً بالقاهرة فى جمادى الاولى سنة ١٣٣٣ (٢٠ مارس سنة ١٩١٥)

حضرة الشيخ محمد على ابراهيم بمتردش بحارة الحريكية بشارع باب الوزير قسم الدرب الاحمر

قررت الوزارة تعيينكم عريفا بمكتب زينب بنت خليل ببولاق فعليكم التوجه الى المكتب المذكور من تاريخ اول ابريل سنة ١٩١٥ لاستلام اعمالكم هناك وفى تاريخه اخطر ذلك المكتب بما لزم

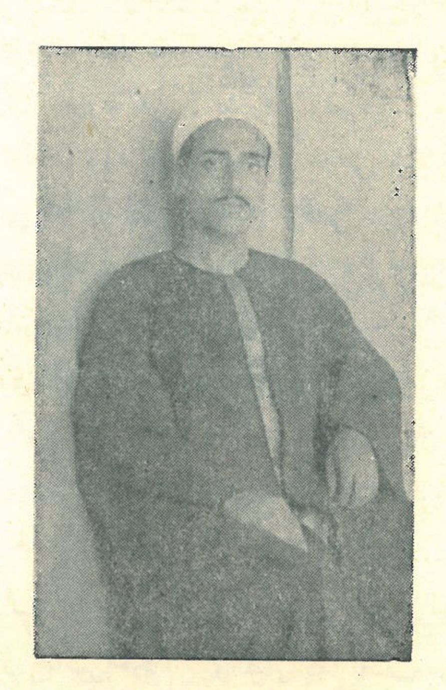
[illegible]

صورة خطاب التعيين (بالزنكوغراف)

وكان الشاب «محمد القصبجى» يتمتع ببصر حاد ، ولكنه آلى على نفسه ألا يميز علامات قياس النظر كما تراها عيناه ، فكان يجيب على العلامة التى تتجه إلى اليمين ، إلى الشمال ؛ والتى تتجه إلى الشمال إلى اليمين وهكذا ... وأعلنت نتيجة الكشف الطبى وفق هواه ... وهى «غير لائق لضعف بصره» ونجحت (لعبته) .. ولكنه لم يكن يدرى أن والده ، كان من ورائه قد أوصى عليه صديقه باشكاتب القومسيون الطبى ، فأعيد الكشف عليه ، ونجح رغم (عينه) وعين رغم (أنفه) إعتبارا من أول إبريل عام ١٩١٥ (عريفا) أى مدرسا بمكتب زينب بنت خليل بحى بولاق ، لجميع المواد ، عربى وحساب وجغرافيا وتاريخ .. ما عدا — بالطبع — اللغة الأجنبية التى لم يدرسها فى الأزهر أو فى مدرسة المعلمين ، وأصبح اسمه الرسمى «الشيخ محمد على ابراهيم» .

ولم تمنع الوظيفة القصبجي من ممارسة الفن ، فكان يلقن الأولاد فى الصباح العلم ، حتى إذا ما انطلق جرس المدرسة يعلن انتهاء الدراسة ، أسرع إلى منزله كى يخلع زيه الرسمى ، ويرتدى البدلة والطربوش ، ليبدأ حياته الموسيقية ...

وهكذا لم يستطع الفكاك من العمامة والقفطان ، إلا بعد أن استقال من مهنة التدريس فى ١٠ مايو عام ١٩١٧ .



محمد القصبجى وهو طالب

بداية الاحتراف

ولما اكتملت موهبته الموسيقية ، إتجه إلى التأليف الموسيقى والتلحين ، وكانت باكورة مؤلفاته مقطوعة موسيقية لا يوجد بينها وبين أنواع التأليف الموسيقى الآلى العربى المعروفة من : بشارف وسماعيات ودواليب ولونجات وتحميلات — أية مماثلة ، وإنما هى ذات طابع خاص أشبه ما تكون بالمقطوعة الخفيفة الراقصة التى تعزف فى (البارات) يرقص عليها المنتشون .

ثم بدأ يلحن بعض الأدوار والموشحات ؛ على غرار الأدوار والموشحات التى كان يغنيها المطربون فى ذلك العهد .

وعندما فكر فى التلحين ، واجهته مشكلة تأليف الأغانى التى يفجر فيها طاقاته الفنية ، ولم يكن من اللامعين ، ومن العسير أن يستجيب إليه أحد من مؤلفى الأغانى المعروفين أمثال: الشيخ احمد عاشور ، واسماعيل (باشا) صبرى ، إذا ما لجأ إلى أحدهم فى طلب أغنيات ... فحاول أن ينظم بنفسه بعض الأدوار ، ونجح فى محاولته ، ومن الأدوار التى نظمها :

— الحب له فى الناس أحكام — والصبر ياما نصف مظلوم
— يا قلب ليه سرك تذيعه للعيون — والعين بتفضح كل مغرم
— فؤادى المتيم شجون لولا الدموع لانكوى من نار الدلال الحبيب .

وأخذ يغنى هذه الأدوار فى الليالى الساهرة ، إلى جانب الأدوار التى كانت شائعة فى ذلك الوقت مثل: (ياما انت واحشنى) و (فى البعد ياما كنت أنوح) لمحمد عثمان ، (سلمت روحك يا فؤادى للغرام) لداود حسنى . وكان يتقاضى فى الليلة الواحدة خمسة جنيهات يتقاسمها هو وزميله عازف القانون المرحوم إبراهيم العريان .

وأصبح إسم «محمد القصبجى» يتردد بين أسماء مطربى ذلك العهد أمثال : على عبد البارى ، زكى مراد ، أحمد فريد ، عبد الله الخولى ، عبد اللطيف البنا ، صالح عبد الحى ، أحمد صابر ، ونجحت هذه الأدوار ، ودفعه هذا النجاح إلى أن يطلب فى ثقة واطمئنان أغانى من المؤلفين المشهورين ، فكتب له الشيخ أحمد عاشور دور «وطن جمالك فؤادى يهون عليك ينضام» ولحنه من مقام الراست ، كما لحن بعض الموشحات لجماعة المنشدين ، منها :

مر عيش هان لمحب هان مغرم ولهان فى الهوى العذرى — مقام جهار كاه — أصول سماعى دارج .

وبدأ القصبجى يشق طريقه بنجاح فى ميدان الطرب ، إلا أنه صدم بوفاة أمه التى كان يحبها لدرجة التقديس ، وحزن عليها فترة طويلة .

وفى عام ١٩١٩ سمعه المرحوم مصطفى (بك) رضا رئيس نادى الموسيقى الشرقى ، ومحمد العقاد الكبير عازف القانون المعروف ، فأعجبا بمهارته فى العزف على العود ، وأقنعه العقاد الكبير بأن يحترف الفن ، واستطاع أن يضمه إلى تخته الموسيقى كعازف عود ، وأصبح تخت العقاد مكونا من :

محمد العقاد الكبير (قانون) — محمد القصبجى (عود) — أبو كامل الرقاق (إيقاع) ، أما العزف على الكمان فكان يقع عبئه على واحد من هؤلاء فى كل حفلة :

إبراهيم سهلون — إلياس الصغير — سامى الشوا — توفيق صالح — كريم حلمى — زكى عزت . وأما المصاحبون بالأصوات فكانوا : إبراهيم عيد ، محمد عثمان(١) ، عبد الخالق المحلاوى . وكان يتوسط هذا التخت جميع المطربين المعروفين أمثال : محمد السبع — زكى مراد —

(١) أحد المنشدين الذين كانوا يصاحبون المغنين ، وهو ليس محمد عثمان الفنان المعروف .

يوسف المنيلاوى ـ الشيخ أبو العلا محمد ـ سيد الصفطى ، حيث كانوا يغنون ألحان عبده الحمولى ، محمد عثمان ، إبراهيم القبانى ، داود حسنى ..

ووجد القصبجى فى اشتغاله مع الفنانين الكبيرين ، محمد العقاد وإبراهيم سهلون ، فرصة لاتعوض لتعلم أصول العزف على آلتى القانون والكمان ، وأصبح إلى جانب مهارته فى العزف على العود ، عازفا ماهرا على هاتين الآلتين .

واضطر محمد القصبجى أن يختار مقرا قريبا من المقهى الذى كان يتردد عليه زملاؤه الموسيقيين ـ وهو (قهوة التجارة الآن) بعد أن صار واحدا منهم ، فاستأجر سكنا متواضعا فى إحدى الحارات المتفرعة من شارع محمد على اسمها (حارة قلعة الكلاب) بإيجار شهرى قدره سبعون قرشا ، وترك منزل والده الذى كان يقيم فيه بشارع باب الوزير قسم الدرب الاحمر ، واستقل بحياته .

وكان العقاد الكبير يمنح القصبجى جنيها واحدا فى كل حفلة يشترك معه فيها ، وكانت الليالى والأفراح منتشرة فى تلك الآونة ؛ نظرا لارتفاع سعر القطن مما أشاع نوعا من الرخاء ، فكثرت بذلك حفلات الزواج ، وكان البعض يقيمون سرادقين فى حفلاتهم ، فكنت ترى مطربا يغنى فى سرادق للسيدات ، وآخر يغنى فى سرادق للرجال ، وكانت هذه الحفلات تدر على القصبجى إيرادا لايقل عن عشرين جنيها شهريا ... ولكن دخله من هذه الحفلات لم يكن كافيا للوفاء بالتزامات الحياة ومطالبها .. خاصة وأن انفصاله عن أبيه واستقلاله بحياته ، كان معناه الاعتماد على نفسه اعتمادا كاملا ، فكان يقوم بإعطاء دروس خاصة فى العزف على العود والقانون والكمان ، وكانت حصيلة هذه الدروس تتراوح بين جنيه وجنيهين شهريا ، هذا إذا تم الدرس فى منزله ، أما إذا انتقل هو إلى بيت تلميذه ، فإن القيمة ترتفع إلى خمسة جنيهات شهريا .

بـداية الغيث

ولم تتهيأ الفرصة للملحن محمد القصبجي ليعلن على الملأ ألحانه ، فتسمعها الجماهير ، لأن صلته بأهل الفن والطرب كانت محدودة بالنسبة لصغر سنه ، وحداثة عهده بالوسط الفنى . وكانت أماكن الغناء فى ذلك الوقت محصورة بين الصالات والمقاهى التى كان يمتلكها بعض اليونانيين والأجانب مثل : الالدرادو – نزهة النفوس – اللوفر ، وكانت تغنى فيها : الحاجة السويسية وسيدة الإسكندرانيه وعزيزه الفار .

وشاءت المصادفات أن يسمع ألحان القصبجي ، عازف الناى عبده صالح والد الفنان محمد عبده صالح ، فعرض عليه أن يقدمه للمطربة توحيدة ، وكانت من المطربات الشهيرات وتعمل بصالة (ألف ليلة وليلة) ، بميدان العتبة الخضراء ، ويصاحبها تخت مكون من :

عطيه عمر – والد عازف القانون محمد عطيه (عود) ، وعبده صالح (ناى) وأحمد غنيمه (كمان) ، ومحمد غنيمه (قانون) ، ومحمود حمدى البولاقى وعوض الحرجاوى ، وعبده مرزوق (مرددون) ، فأسمعها دور (الحب له فى الناس أحكام) من مقام زنكلاه ، فأعجبت به ، وغنته فى الصالة :

وكان هذا اللحن فاتحة السعادة بالنسبة للقصبجي الملحن ، فلم يمض أكثر من شهر حتى ذاع صيته ، واشتهر بين أهل الفن بالتلحين ، وأقبل عليه بقية المطربات يطلبن منه ألحانا ، وطارت شهرته إلى شركات الاسطوانات : بيضافون . وأوديون . وجرامفون ، فدعته لتسجيل ألحانه بأصوات المطربين الذين تتعامل معهم ، أمثال :

سيد الصفطى ، أمين حسنين ، محمد نور (والد عازف الناى محمود عفت) على عبد البارى ، محمد أنور ، محمد نديم – رتيبة أحمد ، سكينة حسن ، نعيمة المصرية . وكان مقررا أن يكون أول تسجيلاته دور (الحب له فى الناس أحكام) الذى غنته المطربة توحيدة فى صالة (ألف ليلة وليلة) وذلك بصوت المطرب صالح عبد الحى ، ولكن صالح لم يستطع أن يؤدى الدور بأسلوب القصبجى ، لذا سجل بصوت زكى مراد .

كما كان هذا اللحن بداية بزوغ نجم جديد فى عالم التلحين ، وأصبح منزل القصبجى المتواضع بحارة (قلعة الكلاب) ، لايليق بمركزه الفنى ، بعد أن صار مطربا وملحنا يشار إليه ، فاستأجر منزلا مستقلا بميدان باب الخلق ، يقع على ناصية شارع الخليج المصرى رقم ٣٣٠ ، مكونا من ثلاثة طوابق ، بكل طابق حجرة واحدة ، بإيجار شهرى قدره أربعة جنيهات ونصف .

وفى عام ١٩٢٠ أراد القصبجى أن يتجه اتجاها آخر فى التلحين ، فاتفق مع صديقه الشيخ محمد يونس القاضى ، على تأليف بضع طقاطيق خفيفة لتلحينها ، وكتب الشيخ يونس مجموعة منها :

بعد العشا – شـال الحمام

ولحنها القصبجى ، ولكن الأمر لم ينته عند حد تلحينها ، فقد برزت مشكلة تسويق هذه الألحان ونشرها ، والأصوات التى تؤديها ، فاتفق الطرفان على أن يقوما بجولة فى المقاهى والصالات المتناثرة على جوانب شارعى الأزبكية وعماد الدين ، مثل (قهوة إلياس والبوسفور والبيجو والمونت كارلو) وكان نجومها المطربات : اللاوندية – نعيمة المصرية – ملك محمد – فاطمة قدرى – شمس قدرى – عزيزة فخرى – رتيبة أحمد . وحفظت المطربة ملك لحن (بعد العشا) وأخذت تغنيه فى صالة المونت كارلو وراجت الأغنية ، وبلغ صيتها شركات الاسطوانات ، فاستدعته مرة أخرى

شركة بيضافون وتعاقدت معه على تسجيلها هى وغيرها من الطقاطيق مقابل أجر قدرة خمسة جنيهات للملحن ، وجنيهان للمؤلف عن كل أغنية .

***

وفى أمسية من عام ١٩٢٠ زار القصبجى ، صديقاه محمود شكرى وعلى شكرى (وهما من هواة الفن الأثرياء) وقدما له شابا موهوبا ، غنى له لحن سيد درويش (أنا المصرى كريم العنصرين) فأعجب بإحساسه الفنى وأذنه المرهفة ، وسرعة التقاط النغم ، ووداعته ، وكان هذا الشاب .. هو المطرب محمد عبد الوهاب ، فقربه القصبجى إليه ، وظل يلازمه ليل نهار مدة خمس سنوات ، وكان القصبجى يعتمد عليه فى حفظ ألحانه ، فقد كان يذكره بها كلما نسيها ، ولما تعرف عبد الوهاب على أمير الشعراء أحمد شوقى ، قل تردده على القصبجى الذى كان يتابع باهتمام نشاط تلميذه ، ويشجعه حتى أصبح موسيقارا كبيرا ، كما كان فخورا به ، مؤيدا إياه فى اتجاهاته الفنية ، مدافعا عنه فى كل مجال ..

وفى العام نفسه ، تعرف القصبجى على كامل الخلعى الملحن المشهور ، وكان صديقا لوالده الشيخ على القصبجى ، فأخذ عليه الموشحات وتعلم منه أسرارها ، وكان يتردد معه على تياترو برنتانيا الذى كانت تتألق على خشبته سلطانة الطرب منيرة المهدية ، وكان كامل الخلعى يلحن لمنيرة المهدية بعض مسرحياتها الغنائية ، وتم التعارف بين القصبجى ومنيرة ، وبدأ التعاون الفنى بينهما ببعض الطقاطيق التى كان قد لحنها مثل :

بعد العشا — شال الحمام — من بعد ١٣ سنه — يا قلبى أصبر على دى الأسية — ما يجبش زيى إن لف الكون — اسمع أغانى المهدية — ليلة ماجه فى المنتزه . وسجلت منيرة المهدية هذه الألحان على اسطوانات « بيضافون ».

***

ولم تكن منيرة المهدية المطربة الكبيرة الوحيدة التى اتجهت نحو القصبجى ، ليزودها بفيض فنه ، فقد تحولت إليه أنظار المطربة فتحية أحمد ، واشترك فى فرقتها الموسيقية مع عازف القانون إبراهيم العريان ، وعازف الإيقاع إبراهيم عفيفى ، ووضع لها عشرات الألحان ، كان أولها :

أنا الحبيبة صدقنى　　　　كل العواذل تكرهنى

وكانت فتحية أحمد تقدر القصبجى وتجله ، وهى التى أطلقت عليه إسم (قصب) وهو اختصار (قصبجى) وأصبح معروفا بهذا الاسم فى الوسط الفنى كله .

الصوت الذى سحره

وفى أواخر عام ١٩٢٣ ، اتفق أحد متعهدى الحفلات - وكان إسمه الشيخ محمد أبو زيد ، مع مطربة السيرة النبوية ، «أم كلثوم إبراهيم» وبطانتها ، على إحياء حفلة بمسرح تياترو (بايلوت باسلك) برنتانا سابقا ، وكانت هذه أول مرة تظهر فيها الآنسة أم كلثوم بالقاهرة .

وكان القصبجى ممن أسعدهم الحظ بسماع المغنية الريفية الجديدة ذات العقال ، فسمع لأول مرة فى حياته صوتا له وقع السحر فى النفس ، ينشد قصائد فى مدح الرسول مثل (مولاى كتبت رحمة الناس عليك) واختتمت حفلها بأغنية خفيفة للملحن إبراهيم فوزى (فى غرامه ياما شفت عجايب) :

فأعجب القصبجى بحلاوة صوتها ورقة أدائها ، وغمرته موجة من الفرح ، لأنه اهتدى إلى الصوت الذى يستطيع أن يؤدى أسلوبه الجديد فى التلحين على النحو الذى يجيش فى خياله ، وهو اللون الجاد الكلاسيكى الذى شق به طريقه فى ميدان التلحين .

وعادت أم كلثوم ومن معها إلى بلدتها ، ولكن رنين صوتها الحلو ، وصدى شدوها العذب لم يفارق أذنى القصبجى ، إلى أن جاءت أم كلثوم لتقيم فى قلب العاصمة بصفة نهائية عام ١٩٢٤ ، واتخذت لها مسكنا بشارع قوله بميدان عابدين .

ورنت أنظار شركات الاسطوانات إلى الكوكب الجديد ، وتعاقدت معها شركة أوديون على تسجيل خمسة عشر لحنا ، للدكتور صبرى النجريدى ، والشيخ أبو العلا محمد ، وهى :

أنا على كيفك — الفل والياسمين — يا كروان والنبي سلم — الأمر أمرك — خايف يكون حبك لى شفقة على — يا ستى ليه المكايدة — شفت بعينى ماحدش قال لى — الخلاعة والدلاعة مذهبي — طلع الفجر — ما لى فتنت بلحظك الفتاك — والله ماحدش جنى غير قلبى ده على انا — كم بعثنا مع النسيم سلاما — لى لذة فى ذلتى وخضوعى — قال إيه حلف ما يكلمنيش .

وتشاء المصادفات ، أن تسجل صاحبة الصوت الذى سحر محمد القصبجى وملك عليه مشاعره ، أغنية من تلحينه ، فقد كانت الأغنية الأخيرة ، «قال إيه حلف» من ألحانه التى كان قد باعها لشركة أوديون كى تغنيها المطربة نعيمة المصرية .

لقاء أم كلثوم والقصبجي

وكان أول لقاء بين أم كلثوم والقصبجي فى عام ١٩٢٤ ، حينما اصطحبه (ألبير ليفى) مدير شركة أوديون إلى منزلها بعابدين ، وقدم لها ملحن «قال إيه حلف» .

وكانت تلك الأغنية أولى قطرات الغيث الذى فاض به القصبجي ، فقد جمعت بينه وبين صاحبة أجمل صوت ، وبدأ التعاون بينهما ، وحفظت لحنين من ألحانه :

أنا عندى أمل تنسى اللى حصل — مقام بياتى

م السنة للسنه يا حلو لما انظرك — مقام عجم

وأخذت تغنيهما فى حفلاتها ،وتجود فيهما وتبدع ، وسط أفراد البطانة ، من المشايخ .

ثم تطور التعاون بين الإثنين ، وخصت أم كلثوم القصبجي بتلحين بعض أغانيها ، وعهدت إلى الشاعر أحمد رامى بنظم عشر أغان يلحنها القصبجي ، فكتب الأغنيات التالية :

إن حالى فى هواها عجب

يا ريتنى كنت النسيم

ولحد إمتى حتدارى حبك

صدق وحبك مين يقول

أيقظت فى عواطفى وخيالى

أخذت صوتك من روحى

صحيح خصامك ولا هـــزار

متنا فى حبك يا نور العين وجينا

باحبك وانت مش دارى

قلبك غدر بى ورمانى

ولحنها القصبجى ، وسجلتها أم كلثوم على اسطوانات ، ولقيت رواجا منقطع النظير ، وارتفع أجر القصبجى فى هذه الألحان عند شركة الاسطوانات من ثمانية جنيهات إلى خمس عشرة جنيها عن اللحن الواحد .

***

وابتسمت الدنيا للقصبجى ، وأصبح ماحنا على مستوى داود حسنى وإبراهيم القبانى ، وزكريا أحمد ، يقف معهم على قدم المساواة ، بل يتفوق على بعضهم بتجديداته وابتكاراته وتطوره فى الأغنية الفردية .

ولم يعكر عليه صفو حياته ، سوى مرض والده وأستاذه فى عام ١٩٢٣ بمرض لم يمهله أكثر من سنة واحدة ، توفى بعدها فى أغسطس ١٩٢٤ ، وكان آخر جملة ينطق بها الشيخ على :

« الله يحنن قلبك على إخواتك يا ابنى »

ثم لفظ أنفاسه الأخيرة .

وقد حرصت على ذكر هذه العبارة لأنها ملكت على القصبجى نفسه فى حياته الخاصة حتى آخر أيامه !!

***

ومرة أخرى ، أصبح منزل الموسيقار محمد القصبجى بميدان باب الخلق لا يليق بمكانته الفنية ، فاشترى فى عام ١٩٢٦ منزلا مكونا من أربعة طوابق بشارع الخليج المصرى ، بمبلغ ألف ومائة جنيه ، وكان هذا المنزل مقصد

أهل الفن .. يتردد عليه كبار الفنانين والفنانات ، أمثال : منيرة المهدية أم كلثوم – محمد عبد الوهاب – فتحية أحمد – نجاة على – حياة محمد – ليلى مراد .

وكان القصبجي أول (عواد) ثابت يشترك مع أم كلثوم فى حفلاتها وفى تسجيل الاسطوانات . فقد كان قبل أن يتم هذا التعاون بينهما عام ١٩٢٨ ، يشترك ملحن الأغنية مع الفرقة التى تتعامل معها الشركة وكانت تتألف من :

عبد الحميد القضابى	(قانون)
سامى الشوا	(كمان)
صالح المذهبجى	(ايقاع)
ملحن الأغنية	(عود)

وكادت فكرة اشتراك القصبجى بعوده فى (تخت) أم كلثوم ، تفشل بسبب الأجر ، فإنه اشترط مبلغا معينا ، يزيد على الرقم المعروض عليه ، وحاول المرحومان : مصطفى رضا وحسن أنور : الاتفاق مع الملحن المرحوم إبراهيم القبانى ، ولكن المفاوضات توقفت ، وعادا إلى القصبجى على أن يأخذ المبلغ الذى طلبه ، وتم تكوين أول (تخت) لأم كلثوم من :

محمد العقاد الكبير	(قانون)
سامى الشوا	(كمان)
محمد القصبجى	(عود)
محمود رحمى	(ايقاع)
خالد إبراهيم	(مذهبجى)

ولم يفارق القصبجى أم كلثوم لحظة منذ عام ١٩٢٨ ، فقد كان ملحنها الأول ، وأحد أركان فرقتها الموسيقية ، واشترك معها فى جميع حفلاتها التى أحيتها بمختلف بلاد القطر المصرى وسوريا والعراق وفلسطين والكويت

وبيروت . وبدأ أجره يتدرج من ٢٥٠ قرشا إلى أن بلغ ثلاثين جنيها فى الحفلة الواحدة .

***

وكان القصبجى يتجول مع أم كلثوم — فى مطالع حياتها الفنية — فى الأقاليم لإحياء الحفلات وإقامة الموالد، ولم تخل هذه الحفلات من الذكريات الطريفة لما كان يحدث فيها من مشادات بين المستمعين !!

ولم يكن القصبجى يخشى على شىء آنئذ ، إلا على : أم كلثوم .. وعـــوده .

وقد حدث أن قامت مشادة فى إحدى هذه الحفلات ، فما كاد يلمح بشاير المشاحنة ، حتى أمسك فى لمح البصر بأم كلثوم فى يده اليسرى ، ورفع عوده بيده اليمنى .. ولجأ إلى الهرب من خلف الستار !!

اتجاهه إلى المسرح الغنائى

لم يكتف القصبجى بأن يلمع اسمه ويحتل مكان الصدارة بين ملحنى الأغنية الفردية دون غيرها من أنواع التأليف الغنائى العربى ، فطرق مجالا آخر من مجالات التلحين ، وقدم للمسرح الغنائى بعض الأوبريتات ، كانت من أروع ماقدمته فرقة السيدة منيرة المهدية وذلك فى الفترة من عام ١٩٢٤ إلى ١٩٢٧ ، وهذه الأوبريتات هى :ـ

المظلـــومه (١) : تأليف الشيخ محمد يونس القاضى

وضع فيها الألحان التالية :

١ ـ دايما غيوم الأسى * تحجب شموس الأمل

٢ ـ ماليش نصير غيرك يارب وبكل دا أنا موعود

٣ ـ ياللى بتبكى ع الأولاد * وفر دموعك بزياده

كيد النسا : تأليف الشيخ محمد يونس القاضى

وتتضمن الألحان التالية :

١ ـ اطرب يا عصفور وغنى * أنا اللى أفهم لغاك

٢ ـ يحق لك دلوقت ياعين * تبكى على البخت المايل

٣ ـ للوداع ساعة رهيبة * هونيها بنظرتك (ديالوج)

٤ ـ والله على عينى بعادك * يا حبيب قلبى

---

(١) اشـــترك مع القصبجى فى تلحين (المظلومة) كامل الخلعى بلحن واحـد ، ومحمد عبد الوهاب بثلاثة ألحان ، ومما يذكر أن هذه الأوبريت هى أولى محاولات كل من : القصبجى وعبد الوهاب فى المسرح الغنائى .

٥ ــ إنت مسافر وفايتنى * أشكى هواك فى البعد لمين

٦ ــ الحب والحظ الجميل ضدين * لا الحظ ينصف ولا حبى يعطف

٧ ــ فى الحب وحدى ياما قاسيت * ولا يوم بمحبوبى اتهنيت

٨ ــ الشرف بينى وبينك * رأس مال حبى الأكيد

٩ ــ الجو راق والقلب لك مشتاق * والدهر لو ينصف ما يعاند العشاق

حياة النفوس : تأليف أحمد زكى السيد

وتتضمن الألحان التالية :

١ ــ من دى السفر والغياب * قلبى صبح فى عذاب

٢ ــ ألفين سلام عليك * يا كبير تجار بلدنا

٣ ــ مع السلامة يارب تعود * تربح تجارتك ربح وافر

٤ ــ يا محلا الحب بين الزوجين * تبقى العيشة سعيدة وهنية

٥ ــ حظ كبير يوم سعيد * عترنا والله على الفريسة

٦ ــ يا حياة النفس إن حياتى * بعد أن غبت أصبحت كالممات

٧ ــ لحن العيانين (مكسرين ، محتحتين ، مدغدغين)

٨ ــ مولاتنا ست البدور * سموا عليها الله اكبر

٩ ــ آل من إيه يا بلبل بتشكى * ومبدل الحظ بنوحى

١٠ ــ من كتر فرحتى بيك * مش عارفه روحى فين

١١ ــ شرفت قصرك المنير * كلنا تحت أمرك

١٢ ــ سيدى يا منصف الجميع ياذا الكرم والجود

١٣ ــ الأنس واف وحزنى راح وزال عنى

حرم المفتش : تأليف الشيخ محمد يونس القاضى

وتتضمن الألحان التالية :

١ – أجمل ساعات الحياة * ساعة وجودى معاك

٢ – كان لى فى بيتى آمال * اتبدلت ياناس بآلام

٣ – يا صورة المحبوب ردى على

٤ – يا للى نسيت مواثيق وعهود

٥ – هوه مافيش غيرى هدف لسهام عنادك يا زمان

٦ – يا منزلى أدخل إليك بعد السيادة مجرمة

٧ – اتبسم ثغر الزمان لك يا حبيبى

وفى عام ١٩٢٨ عهد المرحوم نجيب الريحانى إلى القصبجى بوضع ثلاثة ألحان فى أوبريت (نجمة الصبح) (١) تأليف بديع خيرى.

وفى هذه الأوبريت اكتشف القصبجى صوتا جديدا لممثلة فى فرقة الريحانى، تدعى (رين فيتانيم كروب)، كانت تقوم بدور (تمر حنة) وتؤدى لحنين فى الرواية، الأول (صولو) ومطلعه :

فى ضى بدرك ياليــل يحلا المــدام للسهارى
يا بخت عشاق الليــل فى الحب قضوه سهارى
كلمة ياليل محلاها كلمة وقت الحبيب ماييناجى حبيبه

واللحن الثانى (دويتو) تغنيه بالاشتراك مع نجيب الريحانى الذى كان يقوم بدور (حسن) فى الرواية.

***

وقد أعجب القصبجى بصاحبة الصوت الجديد، فتعهدها بالتدريب والمران، وهيأ لها فرصة الغناء فى حفلة عامة، أقيمت بمدينة الإسكندرية بمسرح سينما محمد على، وغنت فيها لحنا لداود حسنى (أناجى طيفك بروحى) وقصيدة شوقى التى لحنها وغناها محمد عبد الوهاب

---

(١) وضع الملحن ابراهيم فوزى اربعة الحان فى هذه الاوبريت .

ولكن التوفيق لم يحالفها ، وفشلت الحفلة رغم الدعاية الواسعة التى أعدت لها .

ومما يذكر أن بعض الأصدقاء حاولوا افتراءا ، استغلال هذا الحادث ، فأشاعوا أن القصبجى أراد بهذا الصوت الجديد أن ينافس به الفنانة أم كلثوم !!

ولم يتخل القصبجى عن تلميذته (رين) بل كان يقوم بتدريبها على العزف بالعود ، وتحفيظها ألحانه الشائعة وتغنيها فى صالة (ايزونيا) التى كانت تعمل بها فى الإسكندرية بالقرب من محطة مصر .

نقطة التحول في حياته

وفى عام ١٩٢٨ ، حاول القصبجى تطوير قالب المنلوج ، وهو أحد قوالب التأليف الغنائى العربى ، ولم يكن معروفا فى مصر قبل عام ١٩١٥ ، فقد كانت الألحان الشائعة فى ذلك الوقت والتى يغنيها : الشيخ يوسف المنيلاوى ،وسيد الصفطى ،وعبد الحى حلمى ، وعلى عبد البارى ،وزكى مراد وأبو العلا محمد ،وصالح عبد الحى ،وأحمد إدريس ،وأحمد صابر ، وأحمد فريد وأحمد المحلاوى ، كانت ألحان هؤلاء المشاهير من قوالب : الموشح ، والدور والقصيدة ، والموال ، والطقطوقة.. فلحن القصبجى لأم كلثوم تحفة فنية كانت نقطة تحول فى تاريخ الغناء العربى ، وهى منلوج (إن كنت اسامح وأنسى الأسية) كلمات أحمد رامى ، التى كانت بداية مرحلة جديدة ، وسجلت على اسطوانة (صوت سيده) بيع منها مليون نسخة ، ومنحت الشركة أم كلثوم ثمانين جنيها نظير الغناء ، وتقاضى القصبجى خمسة عشر جنيها مقابل التلحين.

ومما يذكر أن شركة الاسطوانات عرضت على أم كلثوم اتفاقا يقضى بأن تحصل على خمسة قروش عن كل اسطوانة تباع ، ولكنها رفضت هذا العرض ، وآثرت الحصول على الثمانين جنيها .. ولو أنها قبلت عرض الشركة لبلغ دخلها من هذه الأغنية ٥٠ ألف جنيه !!
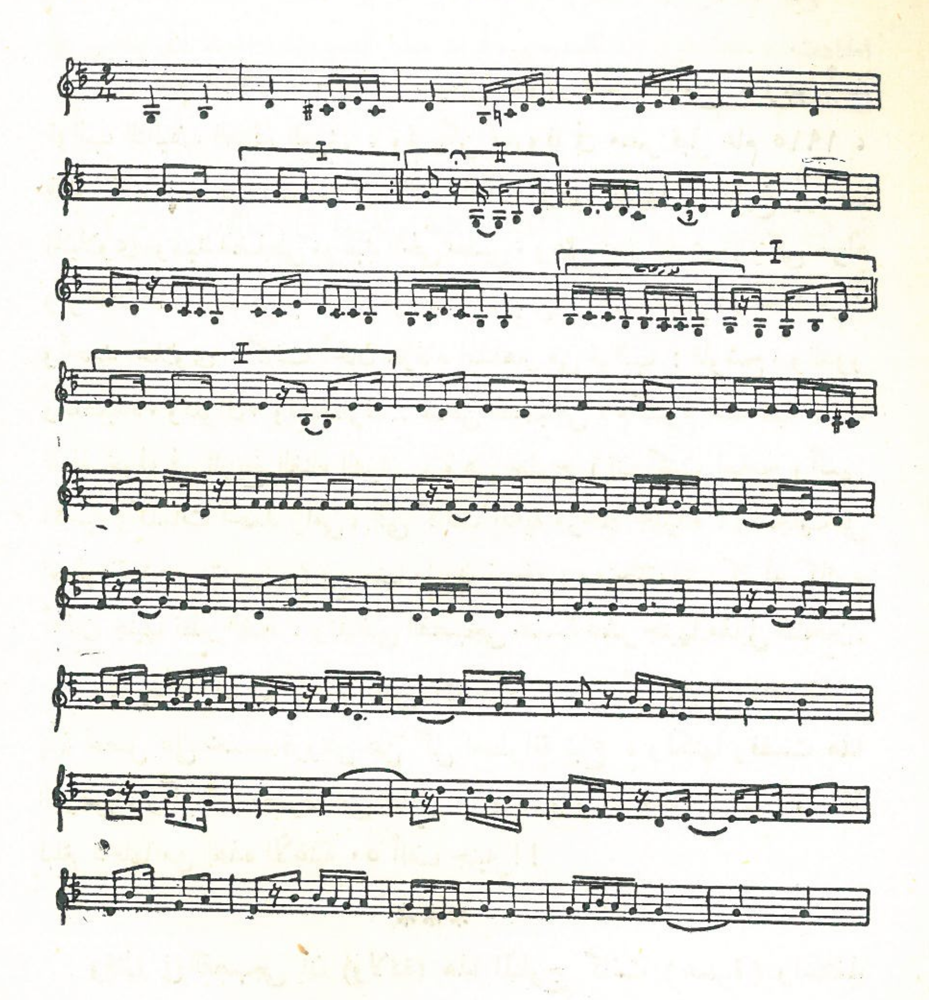
***

وقال لى القصبجى أن (ولادة) هذا المناوج كانت (عسرة) واستنفذ تلحينه منه جهدا شاقا ، فقد ظلت كلماته تتمنع على أوتار عوده أكثر من ثلاثة شهور ، إلى أن سلس له قيادها فى النهاية .

***

منلوج

ان كنت أسامح



ولم تكن (إن كنت أسامح) أول محاولة فى تلحين المنلوج ، فإن لبعض الملحنين محاولات سبقت فى هذا المجال ، فقد كان المرحوم الشيخ سلامه حجازى يقدم ألحانا من هذا اللون خلال فصول رواياته المسرحية مثل: (أتيت فالفيتها ساهرة) و (أتيت الحبيبة فى ليلة وبعد اللتيا وبعد التى) وأيضا فى ثنايا مسرحياته مثل: (أحبابنا زار طيف منكمو ومضى) فى رواية (تسبا) و (شهيدة الوفاء) و (ياغزالا صاد قلبي جفنه) من رواية (روميو وجوليت) ، ولكن هذه الألحان كانت أميل فى صياغتها إلى القصيدة .

كما قدم الشيخ سيد درويش نموذجا للمنلوج فى أوبريت (راحت عليك) أو (بنت الحاوى) وهو لحن (والله تستاهل ياقلبي) ، ولحن الدكتور صبرى النجريدى ثلاثة منلوجات غنائية لأم كلثوم :

ـ خايف يكون حبك لى شفقة على

ـ الحب كان من سنين

ـ والله ماحدش جنى غير قلبي ده على

كما غنى المطرب محمد عبد الوهاب ثلاثة منلوجات أخرى :

ـ عايزك تصد وتهجرنى

ـ شبكتى قلبي ياعينى شوفى بتى مين يحلو

ـ الصد طال وانت مش راضيه تحنى

***

ولم يكن (إن كنت أسامح) أول ألحان القصبجى لأم كلثوم من قالب المنلوج ، ولكنه سبق أن لحن لها منلوجين هما :

أخذت صوتك من روحى	وحزن لحنك من نوحى
يا ريتنى كنت النسيم	اللى يداعب شعـورك

وكانت هذه المنلوجات التى سبقت «إن كنت اسامح» صورة بدائية لقالب المنلوج ، فإن القصبجى فى (إن كنت اسامح) ابتكر من الملامح الفنية ما أرسى هذا القالب على قواعد صحيحة من العلم والفن ، وجعله نموذجا للتأليف الموسيقى ، تلعب فيه الجملة الآلية دورا ظاهرا بجانب الغناء ، وبذلك كانت (إن كنت أسامح) بداية لانطلاقة جديدة للمنلوج المتطور ، فنحا عبد الوهاب منحاه فى تلحين المنلوج ، وقدم مجموعة من المنلوجات(١).

وبعد ذلك لحن القصبجى لأم كلثوم طائفة أخرى من المنلوجات منها :

ـ خلى الدموع دى لغنى	تأليف أحمد رامى
ـ الشك يحيى الغرام	»
ـ سكت والدمع اتكلم	»
ـ خيالك فى المنام حلمى	»
ـ خاصمتنى وانا حيران من أمر الخصام	»
ـ أنظرى هذى دموع الفرح جالت	»
ـ يا غائبا عن عيونى	»
ـ يا عشرة الماضى الجميل	»

كما لحن للمطربة نجاة على (سر السعادة فى شفتيك) ، وسارت المنلوجات الغنائية تترى من باقى الملحنين ، فقدم داود حسنى :

ـ أنين القلب يشجينى فى الغرام ـ غناء نجاة على

---

(١) من هذه المنلوجات :

* اللى يحب الجمال يسمح بروحه وماله ـ تأليف أحمد شوقى
* الليل يطول على سهران ينادم شجونى ـ تأليف أمين عزت الهجين
* بلبل حيران على الغصون ـ تأليف أحمد شوقى
* أهون عليك تزيد نارى ـ تأليف محمد يونس القاضى
* فى الجو غيم حجب القمر ـ تأليف أحمد عبد المجيد

– أعد فى الليل نجومه . من حبى فى نور عنيكى – غناء نجاة على

– أناجى طيفك بروحى * ودموعى تترجى فى – غناء سهام

ولحن المرحوم إبراهيم شفيق لمنيرة المهدية :

(بالأمانة توعدينى إن فكرتى يوم فى الجفا) تأليف محمد إسماعيل. ولحن زكريا أحمد لأم كلثوم (ياما أمر الفراق) عام ١٩٣٤ .

ولما نجح منلوج (إن كنت أسامح) أقبلت المطربات على القصبجى يطلبن ألحانا من طرازه ، فلحن لمنيرة المهدية (يا حياتى ليه تميلى) ولحن لفتحية أحمد (أشكى منك واشتكى لك) .. ولكنهما لم يلقيا الشهرة والنجاح والذيوع التى لقيها (إن كنت اسامح) رغم اعتزاز القصبجى بلحنيهما ...

***

وروى لى الملحن عبده قطر أنه قد بلغ من إعجاب المطربة منيرة المهدية بمنلوج (إن كنت اسامح) – وهى فى قمة تألقها وازدهارها – أنها كانت تغنيه فى حفلاتها العامة ، وأن المرحوم منصور عوض – المدير الفنى لشركة اسطوانات «صوت سيده» أقام دعوى ضد منيرة المهدية بسبب غنائها هذا المنلوج ، فاضطرت إلى التوقف عن غنائه .



محمد القصبجي في شبابه

بين القصبجي وداود حسني

وتعرض القصبجي لنقد بعض الموسيقيين بسبب الخطوة الجريئة الرائدة التي خطاها في (إن كنت اسامح) ووصفوه «بالفرنجة» والخروج على (طاوور) الموسيقى العربية التقليدي ، ومن هؤلاء الزميل محمود رأفت ، والمرحوم مصطفى ممتاز ، ولم يقف إلى جانبه سوى الفنان داود حسني ، الذي بارك اتجاهه ، وشجعه على المضي في هذا التجديد ، وقد روى لي إبراهيم حسني نجل المرحوم داود حسني ، أن والده اعتذر عن تلحين منلوج للسيدة أم كلثوم وقال ، إنه لا يجوز أن يلحن منلوجا ومحمد القصبجي موجود .

وقد حفظ القصبجي لداود هذه المواقف طوال حياته ، وبعد وفاته ، ففي حياته ، كان القصبجي يشيد بفن داود وأستاذيته ، وعندما تعرف داود على السيدة أم كلثوم ، ولحن لها بعض الأغنيات منها :

(شرف حبيب القلب) و (يا فؤادي إيه ينوبك)
و(كل ما يزداد رضا قلبك على) و (كنت خالي لاحبيب يرحم)
و (جنة نعيمي في هواك)

كان القصبجي فخورا بهذا التعاون ، ومعتزا بزمالته ، كما كان يقوم بتحفيظ تلميذته (رين كيروب) بعض ألحان داود لكي تغنيها في حفلاتها .

وبعد وفاته ، ظل القصبجي وفيا له ، ومقدرا لفنه ، وعندما كنا نسجل ألحان أوبريت (ناهد شاه) بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب —

فى مشروع جمع التراث(١) ، كان القصبجى يشيد ببراعة داود حسنى فى تصوير جو ألحان الرواية ، وكان شديد الإعجاب بلحن (الكهنة) الذى مطلعه : شن شنا كاشار .

(١) قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب تشكيل لجنة فرعية لجمع تراث كل من الفنانين سيد درويش وكامل الخلعى وداود حسنى ، من الاساتذة : عبد الحميد عبد الرحمن (مقررا) وأحمد شفيق أبو عوف والمرحومين ابراهيم شفيق ومحمد القصبجى وعبد الحليم على والدكتور يوسف شوقى وعلى فراج وعلى اسماعيل وحلمى عبده حسين وخليل المصرى ومحمود كامل ١٠ وتقوم هذه اللجنة بجمع تراث هؤلاء الفنانين نصا ولحنا ، تمهيدا لاعادة كتابته فى أسلوب علمى .

ألحانه الوطنية

ولم يفت القصبجي فى غمرة النجاح الذى حققه فى موجة الأغانى العاطفية والاجتماعية التى كان يتغنى بها المطربون والمطربات، أن يستغل مواهبه وفنه فى خدمة الحركة الوطنية ، والإشادة بوطنه مصر ، فلحن عام ١٩٢٢ للسيدة منيرة المهدية ، بمناسبة مقتل السردار — أغنية :

شال الحمام حط الحمـام　　　من مصر السعيدة للسودان

ثم لحن أغنية (توت عنخ آمون) تأليف الشيخ محمد يونس القاضى ، مطلعها :

مايجبش زيى ان لف الكون　　　واحنا أبونا توت عنخ آمون

ولحن لها أيضا أغنية :

وطـنى أنا بالروح أفديه　　　حب الوطن ده من الإيمان

كما لحن لصالح عبد الحى أغنية تقول :

أنا مصر انظر وشوفـنى　　　انا اسمى مصر المحروسه

***

وفى عام ١٩٢٣ عندما كان الشعب المصرى يطالب بالاستقلال وينادى بخروج الانجليز من أرض الوطن لحن محمد القصبجى للمطربة رتيبة أحمد ، أغنية مطلعها :

إنزلى عنه خلينى ارنـه　　　ياريت هوه يقوم بطنـه

ولحن القصبجى فى عام ١٩٢٧ رثاء للمغفور له سعد زغلول شعر

أحمد رامى ، أنشدته السيدة أم كلثوم فى أول حفلة أحيتها بعد وفاة الزعيم الراحل ، هذا مطلعه :

إن يغب عن مصر سعد   فهو بالذكرى مقيم
ينضب الماء ويبقى   بعده النبت الكريم

واستمر القصبجى فى اتجاهه القومى ، فلحن عشرات أخرى من الأغنيات الوطنية والأناشيد الحماسية ، آخرها :

(يا دعاة الحق) لفايدة كامل ، و (ثورة النور) لنازك

كيف تعلّم التدوين الموسيقى ؟

ويعتبر القصبجى من الملحنين الرواد الأوائل القلائل الذين كانوا يدونون ألحانهم بأنفسهم ، مع أنه نشأ فى وقت لم تكن المعاهد الموسيقية فى مصر معروفة . . ولم يدرس التدوين الموسيقى فى معهد ، أو على أحد من الأساتذة ، رغم أن والده كان يجيد هذا العلم كتابة وقراءة ... إذ تعلم أسرار التدوين على بعض الموسيقيين الأتراك الذين كانوا يفدون إلى مصر .. بل اعتمد محمد القصبجى على نفسه فى تعلم أصول النوتة الموسيقية .

***

فقد كان القصبجى معروفا بجمال خطه ، ودقته فى الرسم ، فكان يعهد إليه والده ، بنقل بعض النوت الموسيقية من مجموعة البشارف التركية (شازندا) فكان يسأل والده عن كل علامة موسيقية ، أو ميزان أو سكته أو مسافة أو دليل مقام أو مفتاح ، حتى عرف أسماءها جميعا .

ومن سوق الخضر بميدان العتبة ، اشترى بعض الكتب والمراجع الموسيقية ، الغربية القديمة ، وبدأ فى دراستها وحل رموزها ، واستطاع بقوة مثابرته وإرادته أن يتعلم فن التدوين الموسيقى ، وانطلق يدرب نفسه على كتابة ألحانه ، ويطبق العلم على العمل .

***

وكان لايفارق قادة الفرق الموسيقية الأجانب أمثال : (دافيد سايم) رئيس فرقة منيرة المهدية ، ويتعلم منهم مبادىء التوزيع الأوركسترالى والهارمونية والكنترابنط ، وكان دافيد يحب القصبجى ويشجعه ، لدرجة أنه كان يعزف موسيقاه فى دور الغناء التى كان يعمل بها بشارع عماد الدين مثل (أوبليسك) .

القصبجي وسيد درويش

وكان محمد القصبجي معجبا بالشيخ سيد درويش ويقدر اتجاهاته الفنية ، وقد شاءت المصادفات أن يولد العملاقان سيد درويش والقصبجي في عام واحد هو ١٨٩٢ ميلادية .

كان القصبجي يتردد على مقهى البوسفور حيث كان يغني سيد درويش وهو معمم ، ليستمع إليه ويتابع نشاطه .

والتقى به لأول مرة في عام ١٩٢١ – قبل وفاته بعامين اثنين – في منزل المطرب أحمد المحلاوي . وغنى سيد في تلك الليلة الموال التالي :

لك خال على الخد يعجبني أنا وغيري
ولحظك اللي جرح ياما جرح غيري
واللي انضنى بالجفا برضه مافيش غيري
إمتى تجود وتسمح لي بلثم الخال
أفرح واقول يا هنايا في بعاد غيري

وكان سيد درويش يستهل وصلته الغنائية عادة من مقام النكريز بهذا الموال ، ثم يغني بعده دوره المعروف :

ياللي قوامك يعجبني ليه بس ترضى لي صدودك

وقال لي أحمد المحلاوي ، إن القصبجي في تلك الليلة أمسك بعوده وأخذ يعزف من ألوان التقاسيم المختلفة والمقطوعات الموسيقية ما بهر سيد درويش وهز وجدانه ومشاعره .

***

أما اللقاء الثاني ؛ فكان فى بيت المطربة نعيمة المصرية ، حيث كان القصبجي يقوم بتعليمها أصول العزف على العود ، وفى هذا اللقاء دار عتاب بين الإثنين ، فقد سمع القصبجى أن السيد درويش يعترض على اعتبار دوره (الحب له فى الناس أحكام) الذى غنته المطربة توحيدة فى صالة (ألف ليلة وليلة) وسجله من بعدها المطرب زكى مراد على اسطوانة ، من مقام الزنكلاه ، لأن درجة قرار العجم لا أثر لها فى اللحن ، كما هو الحال فى دور سيد درويش (فى شرع مين) ، وناقش القصبجى سيد درويش مناقشة علمية فى رأيه الذى أبداه ، وغنى له الدور بصوته وأثبت له فى النهاية أنه من مقام الزنكلاه ١٠٠٪ !!

ألحانه فى المجال السينمائى

وكان القصبجى من أوائل الملحنين الذين غذوا السينما المصرية بألحانهم المتطورة ، وتألقت فيها : عقيله راتب وصباح وشادية وليلى مراد ونور الهدى واسمهان وسعاد محمد وهدي سلطان .

ولعل الكثيرين لايعلمون أن القصبجى غنى على الشاشة البيضاء عام ١٩٣٣ فى فيلم (الاتهام) موالا مطلعه :

يا ساقية ليه البكا هيجتى أشجانى

كما ظهر ممثلا فى فيلم (ليلى فى الظلام) مع ليلى مراد فى دور (شحاذ ضرير) واشترك معها فى غناء ديالوج من تأليف مأمون الشناوى :

يارب يا عالم بالحـال   بالصبر داوى كل حزين

***

وقدمت السيدة أم كلثوم ستة أفلام سينمائية ، تتضمن خمسة منها روائع القصبجى اللحنية ، وهذه الأفلام هى :

وداد ـ نشيد الأمل ـ دنانير ـ عايدة ـ فاطمة .

أما الفيلم السادس الذى خلا من ألحان القصبجى فهو (سلامه) وقد انفرد به زميلاه : زكريا أحمد ورياض السنباطى .

***

ولم يقف تطور القصبجى بالقصيدة الغنائية عند حد (إن حالى فى هواها عجب) التى أنشدتها أم كلثوم عام ١٩٢٧ ، ولكنه قفز بها قفزة أخرى فى (ليت للبرّاق عينا فترى) فى فيلم (ليلى بنت الصحراء) عام ١٩٣٦

بطولة بهيجة حافظ وحسين رياض ، وقد بلغ القصبجي فى هذه القصيدة درجة كبيرة من قوة التعبير الموسيقى ، وكل كلمة فيها تعبر بصدق عما تحمله من معنى ، فصور أحاسيس الفتاة (ليلى) عندما اغتصبها بعض الأشرار ، وسجنوها وأخذوا يسومونها العذاب ألوانا ، وتؤثر الموت على الاستسلام إلى رغباتهم ، وتتمنى لو يرى ابن عمها الذى كان يحبها (البراق) ما تعانيه من صنوف البطش والعذاب !!

وغنى هذه القصيدة فى الفيلم كل من : المطربة حياة محمد ، والمطرب إبراهيم حموده . وتتكون هذه القصيدة من خمسة أبيات من الشعر القديم ، اختارتها بهيجة حافظ — منتجة الفيلم — من ديوان (ليلى العفيفة) .

وقد قالت لى السيدة بهيجة حافظ التى قامت بدور (ليلى) فى الفيلم تمثيلا : إنه كان مفروضا أن تؤدى هذه القصيدة فى الفيلم المطربة ليلى مراد ، التى رشحت لتلحينها الشيخ زكريا أحمد ، ولحن زكريا القصيدة ، ولما سمعت بهيجة حافظ اللحن أبدت بعض الملاحظات ، فرفض الشيخ أن يأخذ برأيها ، وأعاد إليها (العربون) الذى كان قد تسلمه منها وقدره خمسة عشر جنيها ، وانصرف ، وقدر للقصبجي أن يلحنها وتغنيها حياة محمد .

وفى عام ١٩٣٧ اكتشفت بهيجة حافظ أن شركة إسطوانات بيضافون قامت بتسجيل هذه القصيدة بصوت المطربة اسمهان ، ولما كانت قد حصلت على تنازل من القصبجي عن حقوقه فى هذا اللحن ، أقامت دعوى ضد أصحاب شركة الإسطوانات مطالبة بتعويض قدره ١٠ آلاف جنيه ، لتسجيل القصيدة دون الحصول على إذن منها بوصفها منتجة الفيلم ، وصاحبة الحق فى اللحن بموجب تنازل الملحن ، وقضت لها المحكمة بتعويض قدره خمسمائة جنيه ، وقد سلمت بهيجة حافظ ملف القضية إلى جمعية المؤلفين والملحنين لأن الحكم الصادر فيها ينطوى على مبدأ قانونى يمكن الإفادة منه فى الحالات المماثلة .

جوانب مضيئة في حياته

كان القصبجي يقدر كل عمل فيه لمسة من الفن ، ويهنئ صاحبه سواء أكان على معرفة به ، أو غير معرفة . أذكر حينما أذاعت المطربة المعروفة آمال حسين فى ختام سهرة يوم الأربعاء الموافق ٢١ ابريل ١٩٤٣ أغنية من تلحينى مطلعها :

ياما فرح قلبى   ياما انتشى وغنى

حدث أن راق هذا اللحن فى سمع القصبجى ، وأخذ يبحث عن صاحبه ، واتصل بمؤلف الأغنية المرحوم عبد الرحمن سامى ، الذى كان مساعدا للمرحوم مصطفى رضا مستشار الموسيقى بالإذاعة ، وسأله عن ملحن هذه الأغنية ، وطلب أن يحمل إليه تهنئته وإعجابه ، فرأيت من الواجب أن أرد على هذا التشجيع بالشكر ، فزرت القصبجى لأول مرة فى منزله ، وأخذ يشجعنى ويمدنى بنصائحه الغالية ، مما كان له أكبر الأثر فى نفسى .

كما كان يشجع كل صاحب موهبة ويأخذ بيده ، لقد قال لى الفنان فريد الأطرش : إن للقصبجى فضلا كبيرا عليه وعلى شقيقته المرحومة اسمهان ، فقد كان يرعاهما وهما فى مطلع حياتهما الفنية . وحدث فى عام ١٩٤٥ أن أفضى إليه الملحن فريد غصن بأمنية أن يلحن لكوكب الشرق ، ونقل القصبجى هذه الأمنية إلى أم كلثوم مشفوعة بتأييده ، فحققت أم كلثوم أمنية فريد غصن ، وكلفته بتلحين أغنية (وقفت أودع حبيبى) للشاعر أحمد رامى ، وحفظت أم كلثوم اللحن ، كما حفظه الموسيقيون ، وكانت أم كلثوم راضية عنه ، وفى تلك الأثناء كان القصبجى عاكفا على تلحين منلوج (رق الحبيب) وكانت أم كلثوم تعتزم أن تهديه إلى المستمعين

فى الليلة التى تغنى فيها لحن فريد غصن .. ولكن القصبجى مجاملة منه للملحن الصاعد ، أراد أن يمنحه فرصته ، فادعى أنه لم ينته من اللمسات الأخيرة لأغنية (رق الحبيب) مع أنه كان منتهيا منها تماما .

وغنت أم كلثوم لحن فريد غصن فى سينما « كليبر » بشارع عماد الدين واستقبله الجمهور استقبالا طيبا ، غير أن أم كلثوم لم تغنه مرة أخرى ، فقد أقنعها البعض بأنه لايليق أن تغنى لحنا لملحن ليس من مستواها الفنى ، وكان فريد غصن فى ذلك الوقت يعمل بكازينو بديعة مصابنى بميدان الأوبرا !!

***

وليس هذا الجانب المضىء الوحيد فى حياة القصبجى ، فإن هناك جوانب أخرى أكثر إشراقا .

كانت له أفكاره السديدة الناضجة ، التى اكتسبها من خبرته الطويلة الواسعة ، فإنه لم يكن راضيا عن السياسة التى تتبعها الإذاعة فى تسجيل الإنتاج الغنائى ، وكان يرى «أن تتم خطوة» قبل أن ينتقل الملحن والمطرب والفرقة الموسيقية والكورس إلى استوديو الإذاعة لتسجيل الأغنية ، وهذه الخطوة هى «أن تعين الإذاعة مشرفا فنيا تكون مهمته الاستماع إلى تجارب هذه الأغانى فى المكان الذى تجرى فيه .. فى النقابة أو فى معهد الموسيقى مثلا ، ثم يبدى ملاحظاته على أداء المطرب والفرقة الموسيقية وأصوات المرددين ، وبذلك نوفر على هؤلاء الفنانين إعادة تسجيل اللحن الذى يحدث عادة بسبب اضطراب أداء المغنى أو الموسيقيين أو المرددين فى الاستوديو ، كما نوفر على الإذاعة شغل أماكنها ، ونخفف العبء عن كاهل المهندسين ، ونضع حدا للشكاوى التى تحدث نتيجة لقرار لجنة الاستماع المأثور «يعاد لاضطراب الأداء» !!

وعندما كان عضوا بلجنة الاستماع عام ١٩٥١ ، أبديت رغبة فى إجراء

عملية (غربلة) للمطربات والمطربين الذين تتعامل معهم الاذاعة ، بقصد تحسين البرنامج ، ورفض القصبجي هذا الرأى بشدة ، ولكن أغلبية الأعضاء وافقوا على عمل التصفية ، فامتنع القصبجي عن الاشتراك فى هذا العمل ، وكانت حجة القصبجي أنه لا يجوز حرمان أى صوت من الغناء ، فإن لكل صوت لونه الخاص ، ولصاحبه جمهوره ومستمعيه ، وإقصاؤه عن الإذاعة معناه الحكم عليه بالفشل كفنان !!

***

وكان القصبجي من الفنانين المعدودين الذين لاينكرون على أحد فضله وجهده ، كان يحرص على مشاهدة العمل الفنى مرات عديدة ، فعندما عرض الاستعراض الغنائى الشعبي (ياليل ياعين) بطولة نعيمة عاكف وشهرزاد ومحمود رضا ، فى يناير ١٩٥٧ الذى يعد بداية إحياء الفنون الشعبية والاستعراضية ، ومن أنجح العروض الفنية التى اشتركت بها الجمهورية العربية المتحدة فى مهرجان الشباب العالمى السادس بموسكو فى أغسطس عام ١٩٥٧ ، كان القصبجي يتردد كل ليلة على دار الأوبرا ، وفى فترات الاستراحة كان يسرع إلى المسرح ليلتقى بعبد الحليم نويره مؤلف الموسيقى وقائد الأوركسترا بين «الكواليس» ليهنئه على جهوده ، بل ونقل إعجابه إلى السيدة أم كلثوم ودعاها لمشاهدة هذا الاستعراض .

***

وعندما قررت الإذاعة حرمان المطرب محمد صادق من الغناء ، كان القصبجي يدافع عنه بشدة ، مؤكدا أن صوته يشبه إلى حد كبير صوت زعيم الغناء «عبده الحمولى» فى صباه .

وقال لى عازف الكمان الأول أحمد الحفناوى : إن القصبجي هو الذى رشحه للانضمام إلى فرقة أم كلثوم الموسيقية ، فى عام ١٩٣٦ أثناء تسجيل ألحان فيلم (وداد) حين اقترح القصبجي زيادة

عدد أفراد الفرقة ، وكان الحفناوى بناء – على ترشيح القصبجى – ممن كان لهم حظ العمل مع السيدة أم كلثوم .

***

وحينما فكرت السيدة أم كلثوم فى صيف عام ١٩٥٥ أن يلحن لها أحمد صدقى ، وعهدت إليه بتلحين قصيدة أحمد رامى :

أغار من نسمة الجنوب على محياك يا حبيبى

كانت سعادة القصبجى لاتوصف ، فقد كان يقدر أحمد صدقى وأسلوبه الشرقى الأصيل فى التلحين ، ولكن هذه السعادة سرعان ماتبددت عندما علم أن هذا اللقاء لم يتم ، وأن أبيات القصيدة قد انتقلت إلى الفنان الموسيقار رياض السنباطى .

***

وكان إذا أعجبه مقال أو كلمة أو رأى فى الصحف ، لأحد الكتاب أو الفنانين اتصل به على الفور وأعرب له عن إحساسه . قرأ مرة مقالا للدكتورحسين فوزى فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى يوم الجمعة ١٤ يونيو ١٩٦٣ ، عن الفنان الراحل كامل الخلعى ، أثلج صدره ، ولم تكن له بالدكتور فوزى وقتئذ صلة ، ولم يكن قد عين عضوا فى لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى للفنون ، فسألنى عن رقم تليفونه ، وطلبه وأخذ يعبر له عن إعجابه وتقديره .

الفنان المجدد المتطور

كان محمد القصبجى فى جميع أطوار حياته الفنية ، مجددا ومتطورا ، بل كان يسبق زمنه فى تفكيره الموسيقى ، لا يحب الجمود ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح فى أغلب ألحانه ، ومنها :

(ياما ناديت) و (فين العيون اللى سبتنى) للسيدة أم كلثوم

و (ياطيور) لاسمهان ، و (أنا قلبى دليلى) و (ياجمال العصفور) لليلى مراد .

ثم (رق الحبيب) التى تعتبر أول صورة غنائية عربية .

***

كما كان متحمسا للموسيقى العربية ، ويدعو للحفاظ على مقوماتها ، ولا يقبل أن ينال أحد منها ، حدث أن نهض بعض الغيورين على الموسيقى العربية ، فى طليعتهم الفنانة الكبيرة السيدة أم كلثوم فى شهر إبريل عام ١٩٦٢ ، وعبروا عن عدم ارتياحهم بسبب قلة اهتمام بعض الرسميين بموسيقانا القومية ، فكان القصبجى أحد هؤلاء المدافعين ، وكان يحضر الاجتماعات التى تعقد لتنظيم خطة الدفاع ، ودراسة المطالب ، وعندما أراد الدكتور ثروت عكاشة الاجتماع بأسرة الموسيقى صباح يوم ٥ مايو ١٩٦٢ ، بنادى السيارات[1] ، للاستماع إلى شكواهم بوصفه وزيرا للثقافة والإرشاد

---

(١) حضر هذا الاجتماع من الفنانين : أم كلثوم ــ محمد عبد الوهاب ــ أحمد شفيق أبو عوف ــ محمد القصبجى ــ محمد فوزى ــ ابراهيم شفيق ــ أحمد صدقى ــ عبد الحميد عبد الرحمن ــ أحمد الحفناوى ــ أحمد فؤاد حسن ، بليغ حمدى =

القومى وقتئذ ، كان القصبجى فى ذلك اليوم ، يشكو آلاما حادة فى حنجرته ، وحاولت أن أثنيه عن حضور هذا الاجتماع حرصا على صحته، ولكنه رفض بإصرار ، وقال :

— وما قيمة صحتى .. بجانب مستقبل الموسيقى العربية ؟

وفى هذا الاجتماع أصدر الدكتور ثروت عكاشه القرارين التاليين :

١ — تعديل لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .

٢ — إنشاء اوركسترا للموسيقى العربية .

وكما كان القصبجى غيورا على الموسيقى العربية ، معتزا بها ، كان يحب فى نفس الوقت الإستماع إلى الموسيقى العالمية ، فلم يكن متعصبا للون واحد من الموسيقى ، بل كان يتذوق كل موسيقات الشعوب من غربية وتركية وهندية وصينية وروسية ويابانية ، وكان يهضمها ويتحسس مواطن الجمال فيها ، ولكنه كان يكره موسيقى (الجاز) الصاخبة ، لأنها فى رأيه ، غير معبرة .

***

وكان يحرص على ألا يفوته مشاهدة مواسم الأوبرا الأجنبية ، وفرق الباليه التى تفد إلى جمهوريتنا فى كل عام ، وكذلك الاستماع إلى حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى ..

كان يقول لى دائما ، أنه لو كان يجيد لغة أجنبية لسافر منذ سنوات إلى إيطاليا لدراسة علوم الموسيقى فى معاهدها ، حتى يصبح ملما بأسرارها الغربية والعربية على السواء .

= عبد العظيم محمد — على فراج — د. يوسف شوقى — كامل عبد الله — عزيز الشوان — جورج ميشيل — سليمان جميل — محمود كامل .

ومن الرسميين : عبد المنعم الصاوى — د . على الراعى — أبو بكر خيرت — احمد حمروش — محمد كمال بهاء الدين — أحمد سعد الدين — أحمد لطفى — عبد الفتاح شفشق .

ومنذ أن بدأ الأثير يحمل صوت الإذاعة ، وهو يعلن « هنا القاهرة » عانقت أمواجه ألحان القصبجى وموسيقاه ، وصافحت بها آذان المستمعين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وكان أول لحن تغنيه فنانة الشرق أم كلثوم فى الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية للقصبجى ، وهو منلوج .

« ياللى جفاك المنام » تأليف أحمد رامى

ثم توالت ألحان القصبجى ، تغنيها :

فتحية أحمد – نجاة على – نادره – لوردكاش – محمد عبد المطلب – عبد الغنى السيد – إبراهيم حموده – سعاد زكى – شهرزاد – آمال حسين – ملك عباس البليدى – كارم محمود – عصمت عبد العليم – سعاد محمد – رجاء عبده هند علام – مديحة عبد الحليم – نادية فهمى – حورية حسن – إسماعيل شبانه – فاطمة على – برلنتى حسن – هيام عبد العزيز – وردة الجزائرية – ضحى إبراهيم – وجنات فريد – نادية نور .

نظرته إلى آلة العود

ولم يكن القصبجى مقتنعا بآلة العود بشكلها الراهن .. وإمكانياتها الحالية ، كان يرى فيها قصورا .. وأنه يمكن تطويرها ، فسعى إلى تصميم مقاييس جديدة وأحجام مختلفة من هذه الآلة حتى يمكن عزف (اليوزسيونات)[1] عليها بسهولة ويسر ، ولتصدر صوتا أكثر ضخامة وقوة ؛ مستخدما فى ذلك قواعد حسابية ونظريات هندسية معينة فى تحديد طول الوتر من (الإنف) إلى (الفرس) وتركيب (الدواقيس) التى تحمل وجه العود فى أوضاع خاصة وتجويف (القصعه) .. ورأيه فى ذلك أن الوتر إذا زاد طوله عن ٦٠ سنتيمترا ضاع صوته هباء .. كمن يقف فى ميدان فسيح ويصرخ بأعلى صوته ، فلا يسمعه أحد ، وكان يحرص على إقتناء أي عود أصيل يقع عليه نظره، ثم يقوم بتحسينه وتطويره ويضيفه إلى مجموعة أعواده ، وبذلك استطاع أن يقتنى عددا ضخما من العيدان النادرة ، كان يزين بها جدران منزله ، وكان لكل عود استخدامه الخاص ، منها ما كان يستعين به فى تلحين الطقاطيق ، ومنها ما كان يستخدمه فى تلحين المنلوجات ، ومنها ما كان يستخدمه فى عزف التقاسيم والمقطوعات الموسيقية ، ولذلك كان يعتز بهذه العيدان ولا يفرط فى واحد منها مهما عرض عليه من ثمن .. بل ولم يكن يسمح لأحد أن يلمس عودا منها بيده .

وإلى جانب هذه العيدان النادرة التى لامثيل لها ، كان عنده مجموعة أخرى ، أقل منها مستوى ، وهذه المجموعة لم يكن لديه إعتراض على بيعها لمن يطلب شراءها من معارفه وتلاميذه .

---

(١) موانع العفق بالاصابع .

هوايـاته

وكان القصبجي يهوى حب الاستطلاع فى كل شيء .. حتى ولو أدى به إلى إلحاق الأذى بنفسه ، وقد دعاه حب الإستطلاع إلى هوايته علم الكهرباء ، ودعته هذه الهواية إلى الاطلاع على الكتب والمراجع التى تبحث فى هذا العلم حتى أصبح ملما بدقائقه .

وهوى الساعات ... فاقتنى مجموعة من أنواع الساعات النادرة ، التى يرجع عمر بعضها إلى أكثر من خمسين عاما ، منها ساعة تبين لك شهور السنة ، وعدد أيام الشهر ، وعدد أيام الأسبوع ، والقمر والنجوم ، فترى القمر ليلة ١٤ من الشهر العربى مكتمل الوجه ، ثم يأخذ فى الأيام التالية يتضاءل شيئا فشيئا إلى أن يختفى تماما .

***

وهذه الهوايات جعلته يجمع الكثير من أدوات الكهرباء ، والآلات الدقيقة التى ملأ بها بيته .

وتبدو آثار هذه الظاهرة فى حجرات منزله ، حيث يوجد فى كل غرفة عدد من الأجراس والمصابيح الكهربائية ، والمنبهات وساعات الحائط ، وآلات التليفون والسماعات والفونوغرافات وأجهزة الراديو ، والنظارات «المعظمة» «وأجهزة البيك أب» والآلات الموسيقية العديدة .

وكان يحتفظ بكميات وافرة من الأدوية والعقاقير ، والروائح العطرية الغالية ، فأصبح مسكنه مستودعا لمقتنياته العديدة ، أكثر منه إلى منزل للإقامة ، ويضارع بجدارة محل «٥٠٠ ألف صنف» .

وإذا زرت القصبجى لأول مرة فى منزله ، تفاجأ بشىء غريب ، فإنك حينما تدخل باب المسكن تسمع أجراسا تدوى فى كل مكان ، أشبه بغارة جويه ، لا تهدأ إلا إذا أغلقت الباب .

وقد لجأ القصبجى إلى هذه الأجراس لتقيه شر اللصوص بعد أن تعرض للسرقة عام ١٩٣٦ حين كان يقيم بشارع الخليج المصرى ، إذ سطا لص على منزله ، واستولى على مجموعة من الاسطوانات النادرة ، لعازف الطمبور التركى «جميل بك الطمبورى» وبعض الملابس التى كان يرتديها فى سهراته ، وآلات الكاميرا ، ويقدر ثمنها بمبلغ ٤٥٠ جنيها ، وأراد القصبجى أن يجنب نفسه الغفلة ثانية ، فهداه تفكيره إلى تركيب توصيلة كهربائية بين باب الشقه والجرس ، حتى إذا حاول أحد أن يفتحه ، دقت الأجراس وتنبه أهل المنزل ، وأوقعوا اللص قبل أن يوقع بهم !! .

من جوانب الشخصية

ويحلو لزملاء القصبجى أن يصفوه دائما بالبخل والتقتير ، وأنه يعمل حساب «الدانق والسحتوت» ويتندرون فى ذلك بعديد الروايات ، ويطلقون عليه القفشات والفكاهات عن بخله ، حتى أصبح معروفا به فى الوسط الفنى كله .

فهم يعتقدون اعتقادا لايتزعزع ، أنه كان يمتلك ثروة هائلة من المال فى البنوك ، ويقتنى ثلاث عمارات ، ولكنه لا يحاول أن يستمتع بمباهج الحياة ، ويعيش فى سعة منها ، فيسكن قصرا منيفا ، أو فيلا أنيقة تتفق مع مكانته الفنية وثرائه .

وقد يكون لزملائه — بالذات — بعض العذر فى إحساسهم أن القصبجى إنسان بخيل ، فإن مظهره العام ، وتصرفاته ومعاملاته معهم ، توحى بما يؤكد هذا الإحساس ، وخاصة إذا قورنت تصرفاته ومعاملاته بأقرانه من مشاهير أهل الفن الذين يخالطونهم .

كان القصبجى يعيش فى شبه عزلة ، وإن كان كثير الاختلاط بالناس . لم تكن داره مفتوحة للموسيقيين ، وكانت صلته بهم تنقطع فور الانتهاء من (البروفة) الموسيقية أو الحفلة ، لذا لم يكن له منهم أصدقاء بمعنى الكلمة ، إنهم مجرد زملاء .

***

وإذا حدث أن زاره زائر فى منزله ، فإنه لايصادف من الملاقاة وحسن الضيافة ، ما اعتاد أن يلقاه من غيره من الفنانين ، فلا ينال منه أكثر من قدح من القهوة غير المحلاة أو (السكر الخفيف) .

أما السجائر فلا نصيب له منها ، وإن كان القصبجى رغم عدم تدخينه ، يحتفظ بعشرات علب السجائر من مختلف « الماركات » ! !

ولا يرى الزائر فى أثاث منزله الأثرى ، مسحة من الأناقة ، أو الرياش الفاخر ، أو السجاجيد العجمى أو الشيرازى أو التابلوهات ، أو الديكورات الرائعة والثريات البديعة التى تزين قصور زملائه ! !

***

هذه الأجواء التى كان يعيش فيها القصبجى ، هى التى أوحت إلى زملائه بأنه رجل بخيل ! !

حقيقة إن مظهر القصبجى الخارجى الذى يراه الناس ، لم يكن يتناسب مع اسمه الكبير ، وشهرته الواسعة فى دنيا الفن ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى ، بل إن هذا المظهر ينبىء أنه بخيل ... وبخيل جدا .. كما أنه لم يكن أنيقا فى ملبسه ، وهندامه ، وكنت تراه — وهو فى أوج شهرته ومجده متأبطا عوده ، يسير بخطوات سريعة فى الطريق ، أو متنقلا بين عربات الترام ، فى الوقت الذى يملك فيه صغار الموسيقيين والملحنين ، سيارات خاصة .

ومن « الشائعات » التى كان يروجها زملاؤه عنه ، أنه كان يركب « الترام » مجانا ، لأن جميع المحصلين يعرفونه .. وإذا تصادف وطالبه « الكمسارى » بثمن التذكرة همس فى أذنه قائلا ، « إنت مش عارفنى يابنى .. دنا القصبجى .. ملحن أم كلثوم » ! !

***

ولم يستمتع القصبجى بمباهج الحياة ، لم يحاول مرة أن يقضى الصيف فى لبنان — كما يفعل زملاؤه وأنداده — أو على شاطىء من الشواطىء المصرية ، كالإسكندرية أو بور سعيد أو رأس البر مثلا .

ومع ما هو عليه من التقتير على نفسه ، فإنه كان يبسط يده فى الإنفاق على هواياته الخاصة بشكل يدعو إلى الدهشة ، فإنه كان إذا أعجب بجهاز راديو — رغم اقتنائه عدة أجهزة — صمم على شرائه ، وعندما ظهر التليفزيون فى مصر ، لم يكتف بشراء جهاز واحد .

كما أنه كان مرضيا لشهوة نفسه فى أصناف الطعام ، فكانت (ثلاجته) الكهربائية دائما عامرة بالطيور وأنواع الجبن والفواكه الغالية .. وخاصة التفاح الذى لاينقطع من بيته ، وحتى فى الأوقات التى يكون فيها مختفيا أو نادرا ، كنت تجد التفاح عند القصبجى وبكميات وافرة .

على أننى أعود فأقول : إن ما نراه فى ظواهر حياته ، هو الذي أضفى عليه البخل ، وقد يكون لأعبائه والتزاماته المالية التى فرضتها عليه صلة الرحم ، دخل كبير فى هذا الوضع ، فمن يطلع على معيشته ودخائله ، يحكم بأنه ليس بخيلا ، كما يتصور زملاؤه ، ومن يراه أمام الناس ، يرى من تصرفاته الشح والتقتير .

وكان يؤمن بالحكمة القائلة : « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود » لايقيم الولائم أو الحفلات ، كما يفعل أقرانه من الفنانين ، كما أنه لم يكن من هواة السهرات ، وكان يرى أن هذه الولائم والمآدب ليست إلا نوعا من الدعاية ، وأن العمل الناجح هو خير دعاية لصاحبه .

وهو لم يشرب الخمر ، أو يدخن ، أو يلعب الورق .

والحقيقة الأخرى التى لايعرفها الكثيرون ، هى أن القصبجى ، وإن كان لم يرزقه الله بأبناء ، إلا أنه كان مسئولا مسئولية كاملة عن رعاية جيش من اليتامى والأرامل ، من أخواته اللائى فقدن أزواجهن ، ومن يعولوهن .

ولم يكن هو مسئولا عن الإنفاق عليهم فحسب ، بل كان مسئولا كذلك عن علاجهم وتعليمهم فى جميع مراحل الدراسة ، وتدبير سكنهم ، مما يتطلب منه نفقات باهظة ينوء بحملها .. وكان يرى أنه لولا حرصه الزائد ،

وعدم تفريطه ، لعجز عن الوفاء بهذه الالتزامات ، ولتعرض أهله للتشرد وسؤال الغير .

والقصبجى لم يكن بخيلاً على أهل بيته وذويه ، ولم يكن ضنينا على أصدقائه الذين يصطفيهم ..

والبخيل محروم من نعمة العطف ومساعدة إخوانه ، ولكن القصبجى كان يساعد كثيرا من العائلات فى الخفاء ، ويعطف على كل من يطرق بابه بقدر ما تسمح به موارده ، ويعين كل من يقصده على قضاء حاجته .

والبخيل لا يمكن أن يهدي لحنا لمطرب أو مطربة ، وقد قدم القصبجى مجموعة من ألحانه لمطربين ومطربات ابتغاء مرضاة الله .. ولمجرد أنهم لجأوا إليه ، ورفض أن يأخذ منهم أجرا لأن حالتهم المادية لا تعينهم على تحمل أجره !

* * *

ومن خلال صلتى الوثيقة الطويلة به ، أستطيع أن أقرر أن القصبجى كان حريصا غاية الحرص فى كل تصرف من تصرفاته ، وفى كل خطوة من خطواته ، كان يفكر كثيرا قبل أن يخطو ، أو يقدم على أى عمل ، لذلك كنت تجده دائما قلقا ، لا يفرط فى شىء على الإطلاق ، مهما كان ضئيلاً أو قليل الفائدة !!

كان يحتفظ بكل خطاب يتلقاه ، أو دعوة توجه إليه ، وكل برنامج حفلة ، حتى الجرائد والمجلات ، وأوراق النتائج اليومية ، وأغلفة (باكوات) البسكويت ، كان يحتفظ بها فى حجرة خاصة ، وقد رصها أكواما أكواما ، كما كان يحتفظ بزجاجات وعلب الأدوية والحقن الفارغة ، وتذاكر السينما والمسارح ، وكنت إذا سألته عن سر احتفاظه بهذه الأشياء ... أجاب :

إن مالا تحتاج إليه اليوم ، قد تحتاج إليه غدا !!

ولكن أغلب الظن ، أن سر احتفاظه بهذه الأشياء الصغيرة ، هو إشباع

غريزة حب الامتلاك التى كانت تسيطر عليه ، فقد كان يسعى إلى اقتناء أشياء لايستخدمها ولا ينتفع بها فى شىء ، بل كان يمنحها لغيره ممن يلوذون به !!!

***

وعندما عرفت القصبجى فى عام ١٩٤٦ ، لم يفتح لى قلبه مرة واحدة على مصراعيه ، بل وضعنى «تحت الاختبار» فترة من الزمن .. كنت أزوره فى بيته ، بحارة الطوبجى بشارع عبد العزيز ، وهو البيت الذى عاش فيه سنواته الأخيرة ، وإنما لا أتعدى حجرة معينة ، وهى حجرة الضيوف رقم ٢ ، حيث كنا نقضى الوقت بين لعب النرد ، وسماع الموسيقى ، وكانت هذه الحجرة تحتوى على بعض الكراسى الأسيوطى والخيزران ، ويتوسطها منضدة كبيرة مستديرة ، وفى أحد الأركان آلة (فونوغراف) من طراز قديم ، ويتدلى من سقف الحجرة نجفة نحاسية أثرية ، تتكون من ثلاثة فروع ، فى كل فرع مصباح كهربائى يختلف عن الآخر فى شكله ، وكنت كلما انتصرت عليه فى اللعب فى يوم من الأيام ، لا يسمح لى بالانصراف فى المرة القادمة ، إلا إذا أخذ «ثأره» ... فقد كان رحمه الله ، لا يحب أن يكون مغلوبا .. أو ينتصر أحد عليه وإن كان فى لهو !!

وأحسست أننى اجتزت الفترة الأولى من «الاختبار» بنجاح ، عندما أدخلنى حجرته الخاصة ، التى تحتوى على سرير نحاس أبيض عريض ، ومكتب ، ودولاب كبير ودولابين صغيرين وجهاز راديو ، أما جدران الحجرة فقد علقت عليها مجموعة من العيدان ، وبعض ساعات الحائط النادرة التى تطلق أصواتا موسيقية ،وصورة نادرة للسيدة أم كلثوم وهى فى بدء حياتها الفنية ، ويتدلى من سقف هذه الحجرة نجفة نحاسية أثرية ، تتكون من ثلاثة أفرع ، فى كل فرع منها مصباح يختلف عن الآخر فى لونه ، تماما كمثيلتها فى حجرة الضيوف رقم (٢) .

ومرة أخرى ، شعرت أننى قد بلغت مكانتى منه ، عندما عرفنى بأهل بيته ، ثم سمح لى بالانتقال – وحدى – من حجرة إلى أخرى .. وبدأ يفتح لى قلبه رويدا ، وأصبحت موضع ثقته ، وتوطدت العلاقات بيننا حتى أصبحنا لا نكاد نفترق .

❋❋❋

ولم يتعامل القصبجى فى حياته مع كهربائى ، أو «سمكرى» ، أو حداد ، أو نجار ، أو مصلح ساعات أو مع أى صانع ، فكلما احتاج إلى معونة أحد من هؤلاء فى أي شأن من شئون منزله ، فإنه كان يتولى بنفسه هذه المهام بمهارة المجيد .

ولعله الشخص الوحيد الذى لم يسلم رأسه ووجهه إلى (حلاق) ، مع أنه لم يكن من هواة تربية الشعر أو إطلاق اللحى .. فقد كان يبدو دائما منسق الشعر ، حليق الذقن ، وسر ذلك أن زوجته (هدى) كانت تقوم بمهمة (الحلاق) ببراعة .. لأن القصبجى كان يقتنى جميع أدوات الحلاقة اللازمة فى منزله .

حتى الشيب الذى وخط رأسه ، كان يقوم بنفسه بعملية إخفائه ، مستخدما نوعا من الأصباغ ، كان يصنعها فى معمله الخاص ، فيبدو شعره أسود كالفحم .

ولم يبح القصبجى بسر هذه الصبغة لأحد ، وكان كلما سئل ، أجاب بأنه يستعمل نوعا من الحبوب يحيل الشعر الأبيض إلى اللون الأسود !!

❋❋❋

ورغم أن القصبجى كان من هواة (الصبغة) إلا أننى كنت كلما حاولت أن أعرف كنه صبغته التى يستخدمها ، كى أخفى بها بعض الشعرات البيضاء ، نصحنى بعدم الالتجاء إلى أى نوع من الأصباغ ، وكانت حجته فى ذلك أن الشعر الأبيض مظهر من مظاهر الوقار .. ولما كنت أقول له :

– ولماذا أنت إذن تصبغ شعرك؟ كان يقول :

– لأنى أنا أظهر على المسرح ، وأواجه الجمهور !!

***

وكان القصبجى محروما من تناول الشيكولاته أو الملبس ، لأن أمعاءه الرقيقة لاتقوى على هضمها .. وإذا حدث وأكل قطعة منها سببت له آلاما مبرحة ، وأسرع إلى زجاجة (سترات البوتاسيوم) يستعين بها على تنظيف أمعائه وغسلها ... ومع هذا كان يحرص على أن يأخذ نصيبه من هذه الأصناف فى الحفلات ، ويدسها فى جيبه ، لا ليأكلها كما قلت – ولكن ليوزعها على أطفال الأسرة .

وكان القصبجى حريصا فى أمور لا يفيد فيها الحرص ، بل أحيانا تعود عليه بأضرار ... قال لى الأستاذ محمود لطفى المحامى والمستشار القانونى لجمعية المؤلفين والملحنين والناشرين : إن المرحوم القصبجى أخفى عمره الحقيقى فى إحدى الاستمارات التى ترسل إلى جمعية المؤلفين بباريس ، وكتب فيها أقل من الرقم الحقيقى بعشر سنوات ... ثم علم القصبجى أن الجمعية تمنح أعضاءها الذين يبلغون سن السبعين معاشا شهريا ثابتا ، وجاء القصبجى إليه فى العام الماضى يطالبه بالانتفاع بهذه الميزة ، ورجع محمود لطفى إلى أوراق القصبجى فتبين أنه لم يذكر السن الحقيقى ، وبذلك فوت على نفسه – فى حياته – فرصة الاستفادة من الحصول على معاش !

وهذا مثل آخر على حرص القصبجى ، فإنه حتى سنه ، كان يحرص على ألا يعرفه أحد على حقيقته !!

ورغم حرصه المتناهى فى كل ناحية من نواحى حياته ، فإنه كان مسرفا فى التعبير عن عواطفه وأحاسيسه ، كان يتأثر إذا رأى طفلا يبكى ، ويسعى إلى ملاطفته ، وهو الذى حرم من الذرية ... وكان لايفوته أن يملأ جيوبه بالحمص الملون والسكر النبات ، ويوزعها على الأطفال فى الطريق .. ولعله ورث هذه العادة عن أستاذه فى فن الموشحات كامل الخلعى .

مذكراته

وكان القصبجي يحرص على أن يسجل كل شاردة فى حياته ، ويقيد كل قرش ينفقه ، وكل مبلغ يصل إلى يديه ، فى (مفكرات) خاصة . وقد بدأ فى كتابة مذكراته منذ أن كان طالبا بالأزهر .. عام ١٩١٠ واستمر حتى عام ١٩٤٢ ثم حدث أن أحس بدوار ينتابه كلما حرك رأسه يمينا أو شمالا ، على أثر إصابته باسفكسيا الغازات ، فخيل إليه أن نهايته قد قربت ، فأسرع إلى مذكراته وحرقها عن آخرها ... ولما نجا من هذه المحنة ، وأراد له الله الشفاء ، استأنف كتابة مذكراته من جديد .

وقد سألته عن سر إعدام هذه المذكرات ، فأجاب بأنه حينما بدأ فى تدوين مذكراته لم يفكر فى نشرها ، أو يطلع عليها أحد ، وإنما كان يكتبها لنفسه ، لأنها لا تخص غير صاحبها ... وقال :

«بالله عليك .. ماذا يعود على الناس إذا علموا أننى قابلت زيدا أو عمرا ، أو قضيت السهرة فى ملهى (كذا) مع (فلان) أو (علان) ، أو اشتريت بدلة بعشرين جنيها ، أو قميصا بجنيهين ، أو تقاضيت من مطرب أو مطربة مبلغ خمسين جنيها قيمـــة لحن ما ؟ أضف إلى ذلك أن هذه المذكرات تتناول أسرارا دقيقة اؤتمنت عليها يجب أن تكون فى طى الكتمان ، ولا يجوز إفشاؤها .. لأنه يترتب على إذاعتها أزمات ومشاكل لا موجب لها» .

وكان يأخذ على كل فنان يسمح بالتقاط صور له فى بيته مع زوجته وأولاده ، أو فى المطبخ أو فى حديقة المنزل ... وكان يقول : إن هذه الصور لا تعود على صاحبها ولا على القارىء بشىء ... لأنها بعيدة عن عمله كفنان ، وإن عظمة الفنان لا تتمثل إلا فى فنه وحده .

بين القصبجي وكامل الخلعي

وكان القصبجي يعاني من (معدته) منذ أكثر من ثلاثين عاما ، كان مصابا بكسل فى الأمعاء يشبه الشلل ، أدى إلى توقف عملية الهضم ، ونتج عن ذلك تخمر .. كان يؤدى إلى دوار فى المخ .. لذلك عمد إلى أن يكون طعامه (مسلوقا) حتى الفاكهة لا يأكلها إلا إذا كانت (مسلوقة) وقرر الامتناع عن المواد الدهنية والتوابل والطعام (المسبك) الممون .

وكان القصبجي فى شبابه يسرف فى تناول الطعام بما يذهل ، كان يأكل كميات هائلة وألوانا مختلفة من الأطعمة ، فقد كانت أمعاؤه — على حد تعبيره — تهضم الزلط !!

حدث مرة أن عرض عليه المرحوم كامل الخلعي ، أن يصحبه فى إحدى الأمسيات إلى حى العباسية ، وكانت وقتئذ صحراء مقفرة — لتلحين توشيح جديد ، فى جو هادىء تحت ضوء القمر ، وبعد أن نزلا من الترام ، لمح كامل الخلعي رجلا عجوزا يجر خلفه حمارا يحمل (قفتين) مليئتين حلبة خضراء ، فاستوقفه واشترى كل ما يحمله حماره ، وأجزل له العطاء . وقدم الخلعي إلى القصبجي (قفة) وأخذ يعدد له فوائد الحلبة الخضراء ، وأمسك هو (بالقفة) الثانية ، وراح كل منهما يلتهم نصيبه عن آخره .

ومرة أخرى .. دعا كامل الخلعي القصبجي لتناول الإفطار فى يوم من أيام شهر رمضان بمنزله بحارة العمرى بشارع محمد على ، وأشار عليه بعدم السحور فى تلك الليلة لأنه أعد له مفاجأة ... وكان القصبجي يأخذ عن كامل الخلعي بعض الموشحات وكان مقررا أن يحفظ يومئذ موشح (ومهفهف حاوى الحشا) — مقام سيكاه — أصول دارج — فتوجه إلى منزل

الحلعى قبل موعد المدفع بساعة ، وأخذ يحفظ لحن الموشح واستنفذ فى حفظه جهدا شاقا لأنه يتكون من اثنى عشر مقاما ، مما ضاعف من شدة جوعه .

وبينما كان القصبجى يحفظ مقاطع الموشح سمع طرقا على الباب ، فنهض كامل الخلعى وأشار عليه بأن يتبعه ، وفتح الباب ووجد القصبجى أمامه رجلا يحمل (قدرة) فول مدمس ، وقال كامل الخلعى للقصبجى : اسند معى .. وتعاون معه فى حمل (القدرة) وأنزلاها على الأرض .. وكان مدفع الإفطار على وشك الانطلاق ، ونقل الاثنان (القدرة) إلى الحجرة المجاورة حيث كان يتوسطها (قصعة) وحولها كميات مختلفة من الخبز (الفينو) والبلدى والشامى ، وأطباق تحتوى على جميع أصناف (السلطات) . فأفرغ كامل الخلعى (قدرة) الفول فى (القصعة) وتناول زجاجة زيت زيتون وسكبها على الفول ، ونثر عليه ما تيسر من البهارات والملح والفلفل . وكان يوجد إلى جانب (القصعة) ، وعاء نحاسى ملىء بنوع من الطعام يشبه (العصيدة) ، اكتشف القصبجى أنه خلاصة عشرة أرطال من اللحم ظلت على النار مدة ثمانى ساعات فتحولت إلى (عصيدة) .. وأخذ الاثنان يلتهمان الفول المدمس والعصيدة بشراهة ، وفى النهاية أحضر الخلعى كمية هائلة من البيض المسلوق ووضعها أمام القصبجى ، فرفض أن يأكل منها ، ولكن كامل الخلعى أصر على أن يأكل ، فابتعد عنه بمقدار متر ، وأمره أن يفتح فمه ، وأخذ يقذف البيض فى فمه الواحدة تلو الأخرى ، حتى بلغ عدد البيض الذى أكله القصبجى ٢٥ بيضه ، ولم يمض أكثر من نصف ساعة حتى أحس بأعراض (التخمة) ووجد بطنه تعلو شيئا فشيئا ، حتى باتت تشبه الكرة الأرضية ، وأحس بآلام تعتصر أمعاءه ، فأسرع إلى أحد الأطباء واستنجد به ، وظل يعالجه فترة طويلة حتى كتب له الشفاء .. وكانت هذه (الأكلة) – التى كادت تودى بحياته – سببا فى إقلاعه عن الإفراط فى الطعام !!

***

وكان كامل الخلعى من أكثر الموسيقيين إعجابا بفن القصبجى المتطور ، وكان يقدر جهوده فى التلحين وفى العزف على العود وفى تعليم الموسيقى .
وقد كتب يصفه فقال :

هو العواد الساحر ، والمتفنن الماهر ، صاحب الطرق الرشيدة والقواعد العديدة فى تعليم المبتدئين ووصولهم إلى طبقة الأستاذية ، وهو ممن أعجب لحذقهم وأطرب لعزفهم ، قد درس هذه الصناعة على من امتازوا فيها بالبراعة فظهرت مواهبه الطبيعية مقرونة بمحاسنه الفنية .

ولولا أن يظن بنا غلو : لزدنا فى الحديث من استزادا

اعتداده بفنه

وكان القصبجى يعتد بفنه إعتدادا لا حد له . . وكان يغضب كلما تناول أحد عملا من أعماله بنقد عنيف .. كان يقول: إنه وإن كان لم يرزقه الله بأبناء ، إلا أنه يعد كل لحن من ألحانه بمثـابة ابن حقيقى له ، لأنه يعتبره قطعة من لحمه ودمه وروحه ..

أذكر أننى عندما كنت أتولى كتابة نقد الإذاعة فى مجلة «الصباح» وكنت أوقع مقـالاتى باسم مستعار هو (محب للموسيقى) - كتبت كلمة طالبت فيها بوقف إذاعة اسطوانة (اسقنيها بأبى أنت وأمى) شـعر بشارة الخورى، وغناء المطربة اسمهان، ولحن القصبجى، لأنها تتضمن معان خبيثة ، نشرت بالعدد ١٠٠٥ الصادر فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٥ ، هذا نصها : «يحمل بعض الشعر الجيد معان يحسن أن يتفاداها المطربون ، فان ما يغنى يصل إلى الخدور ، ويطرق آذان العذارى ، وقد قيل إن الاذاعة ألغت شريط (ساعة ما باشوفك جنبى) (١) بسبب عبارة تقول :

خليتنى نسيت أحبابى ووهبتك زهـر شبابى
وقطفته وليـه تخـلا بى

فهل هذا أشد ، أم الأبيات التالية فى اسطوانة (اسقنيها) ؟

املأ الكأس ابتساما وغراما فقد نام الندامى والخزامى

ويقول :

---

(١) أغنية من تأليف حسين السيد ، لحن وغناء محمد عبد الوهاب ، سجلت على شريط بالاذاعة عام ١٩٤٥ وقد أفرج عنها عام ١٩٦٩ .

قم نهنىء شفتينا ونذوب مهجتينا

ثم غرق ناظــريك فى ناظــــرى

واختصر ما عليك أو ما عليّــــا

ان تكن أنت أنــــــا

وجعلنا الزمنا قطرة فى كأسنا غنى واسكب غنــاك

ولماك فى فمى فديت فــداك

ان من رأينا منع إذاعة هذه الاسطوانة منعا باتا ! ! »

فما كاد القصبجى يقرأ هذه الكلمة ، حتى ثار وهاج ، وجاء فى اليوم التالى لمقابلة المرحوم الأستاذ مصطفى القشاشى صاحب ورئيس تحرير « الصباح » وعبر له عن ألمه لما نشر .. ووعده المرحوم الأستاذ القشاشى بتحديد موعد يلتقى فيه معى .

وحضر القصبجى فى الموعد المحدد ، وكان ثائرا ثورة جارفة ، وقدمنى الأستاذ القشاشى إليه ، فبادرنى بقوله :

ــ أنت « محب للموسيقى » اللى كتبت الكلام ده .. أنت يا أخى صحفى ولاّ ملحن ؟ هى المصايب ما تجيش إلا من الحبايب ؟ »

ولكنى استطعت أن أهدىء من ثائرته ، بعد أن أكدت له أننى أكن له ولفنه كل تقدير واحترام ، وقد أقر وجهة نظرى فيما تنطوى عليه أبيات الأغنية من معان لا يجوز معه أن تغنى ، وكانت هذه الكلمة سبب صداقتنا وأخوتنا الوثيقة .

القصبجي وأم كلثوم

وكان القصبجي يعبر فى كل مناسبة عن إخلاصه ووفائه ومشاعره الطيبة نحو الفنانة الكبيرة أم كلثوم ، فى الأعياد كان أول المهنئين الذين يتوافدون على دارها ، وعندما تسافر إلى الخارج يكون أول المودعين لها فى المطار ، وعند عودتها يتقدم كل المستقبلين .

وعندما عادت أم كلثوم إلى أرض الوطن من رحلتها فى أمريكا صيف عام ١٩٤٩ على الباخرة (أسبيريا) فكر بعض أعضاء نقابة الموسيقيين — ومن بينهم القصبجي — فى مفاجأة يحيون بها نقيبتهم ، وهى استقبالها فى عرض البحر بالأغانى والزغاريد ، وساعد على تنفيذ الفكرة وجود عديد من الفنانين فى ذلك الوقت بالإسكندرية يعملون فى ملاهيها ، ومن بينهم المطرب عبد العزيز محمود .

وسافر القصبجي مع الدكتور محمود أحمد الحفنى ، والسيد محمد الحملاوى ومحمد بخيت وسعيد الموجى إلى الإسكندرية ، وركب مع زملائه اللانشات البخارية ، وراح عبد العزيز محمود يغنى أنشودة (سالمة ياسلامة) وقام القصبجي وزملاؤه بمهمة (الكورس) فى الرد على المطرب .. واستقبلوا أم كلثوم بهذه المظاهرة الفنية الرائعة التى كان لها أجمل الأثر فى نفس كوكب الشرق . وعندما عادت أم كلثوم من الإسكندرية إلى القاهرة آثرت ألا يكون بصحبتها فى سيارتها الخاصة سوى القصبجي والدكتور الحفنى .

* * *

وفى الإحتفال التاريخى الذى أقامته النقابة تكريما لأم كلثوم ، بمعهد الموسيقى العربية مساء يوم ١٢ اكتوبر ١٩٤٩ ، لحن القصبجي نشيدا

يحيي به الفنانة الكبيرة نيابة عن أسرة الفن ، نظمه الصاوى شعلان ، وأدته المجموعة ، مطلعه :

أرسلى يا كوكب الشرق الأغانى من هدى الإيمان أو نجوى الأمانى
ترجمى للمجد من سر المعالى آية يصغى لها سمع الزمان

* * *

وحينما أرادت اللجنة الموسيقية العليا تكريم السيدة أم كلثوم والأستاذ محمد عبد الوهاب بمناسبة تقدير السيد الرئيس جمال عبد الناصر لفنهما ، بمنحهما وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٦٠ ، لاحت لى فكرة ، وهى أن نقدم فى هذا الحفل أغنية خاصة تعبر عن فرحة الفن والفنانين بهذا التقدير الكريم ، وعرضت هذه الفكرة على الأستاذ أحمد شفيق أبو عوف رئيس اللجنة ، فأيدها بكل حماس ، ورشح محمد القصبجى لتلحين الأغنية ، وكتب الشاعر محمد على أحمد كلمات التحية ، وحملتها إلى القصبجى وقام على الفور بتلحينها ، وغنتها المطربة سعاد محمد فى الحفل الذى أقيم بنادى ضباط القوات المسلحة يوم ١٢ ابريل ١٩٦٠ ، كل هذا دون أن يتقاضى القصبجى أجرا عن التلحين أو التحفيظ أو الاشتراك مع الفرقة الموسيقية ، وهذا هو مطلع الأغنية :

الفن من فرحة أهله حالف ما ينـــام
من يوم حبيبه ما هيأله جــــوه البســام
ومد إيده ورشق له على صدره وســام

* * *

وظل اسم محمد القصبجى مقترنا باسم أم كلثوم نحو أربعين عاما ، كان خلالها مخلصا ، ومتفانيا فى خدمتها ، غيورا على فنها غيرة جنونية ، كان يتمتم ببعض الآيات القرآنيــة وهى تغنى أمام الجماهير على خشبة المسرح ، ويدعو لها بالتوفيق ، كانت حفلات أم كلثوم مقدسة لديه ، لايعوقه عن الإشتراك فيها أى شىء مهما بلغت أهميته ، وحدث أن أجرى

عملية جراحية فى عينه اليسرى يوم أول فبراير سنة ١٩٦٢ ورغم ذلك ظهر على المسرح مع أم كلثوم فى نفس اليوم حيث كان موعد حفلتها الشهرية .

ولم يكن يسمح لأحد من الموسيقيين أن يتصرف تصرفا قد يؤدى إلى تعكير صفو انسجام الفرقة ، ... وكان يقوم بإدارة شئون فرقتها ، كما كان محل ثقتها ؛ لدرجة أنه إذا أراد أحد الموسيقيين أن يستعين بأم كلثوم على قضاء حاجة له أو لأولاده لجأ إلى القصبجى ليحمل إليها طلبه ..

وكانت أم كلثوم تدرك إخلاص القصبجى لها ، فكانت تتمسك به فى كل قطاع تسهم فيه بخدماتها ، ولعله الفنان الوحيد بين الموسيقيين الذى شارك أم كلثوم فى كثير من الميادين الفنية : فى نقابة الموسيقيين ، وفى أول لجنة استماع الأغانى بالإذاعة ، واللجنة الموسيقية العليا فى مطلع تكوينها عام ١٩٥٢ ، وفى لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، فى كل هذه اللجان — كان القصبجى عضوا مع أم كلثوم ، وكانا دائما متفقين فى الرأى ، ولم يتغيب القصبجى عن حضور إجتماع واحد من إجتماعات اللجان العديدة ، بل كان دائما يحرص على أن يكون أول الحاضرين من الأعضاء .

* * *

واشترك القصبجى بعوده فى جميع الألحان التى أنشدتها أم كلثوم ، فى الإذاعة والحفلات العامة والخاصة ، وكان يحفظها عن ظهر قلب ، وآخر لحن لم يظهر فيه عود القصبجى قصيدة (الأطلال) شعر إبراهيم ناجى ،ولحن رياض السنباطى ، فإنه وإن كان اشترك فى (بروفاته) الموسيقية والغنائية ، إلا أن أم كلثوم لم تقدمه إلا فى حفلتها الشهرية التى أقيمت يوم ٧ ابريل ١٩٦٦ أى بعد وفاة القصبجى إلى رحمة الله بأسبوعين ،فكانت أول حفلة لأم كلثوم يغيب فيها القصبجى وعود القصبجى .

وكان القصبجى يؤدى ألحان زملائه : زكريا أحمد ،ورياض السنباطى

وكمال الطويل ، وبليغ حمدى ،ومحمد الموجى ، وأخيرا ألحان محمد عبد الوهاب (إنت عمرى ، وانت الحب ، وأمل حياتى) بنفس الاتقان الذى كان يؤدى به ألحانه ، بل كان دائما يؤكد أنه يولى ألحان هؤلاء الزملاء إهتماما يفوق إهتمامه بألحانه .

ولم تتغير أحاسيس القصبجى نحو أم كلثوم عندما غنت للملحنين الشبان : الموجى والطويل وبليغ .ولم يجد — وهو أحد أقطاب التلحين — فى عزف ألحانهم امتهانا لكرامته ، أو إقلالا من شأنه ، أو جرحا لكبريائه ، لأن كل همه هو أن يكون دائما إلى جوار أم كلثوم ، يسعد نفسه بسماع صوتها الساحر الأخاذ .

****

وكان لعدم غناء أم كلثوم ألحانا جديدة للقصبجى بعد (رق الحبيب) أثره المباشر على قيمته الفنية ، فقد حدث حينما أهدت أم كلثوم إلى الإذاعة عام ١٩٥٢ بعض تسجيلاتها الغنائية لتذيعها بدون مقابل ، كان من بينها لحن (رق الحبيب) وأشارت أم كلثوم على الإذاعة أن تدفع نصيب المؤلفين والملحنين فى هذه التسجيلات ، فقررت الإذاعة أن يصرف للقصبجى ٢٠٠ جنيه ورفض القصبجى يومئذ هذا التقدير ، وأبرق إلى مدير الإذاعة محتجا على هذا التصرف ، وطالب بمساواته بزميله رياض السنباطى الذى قدرت له الإذاعة ٣٠٠ جنيه بحجة أن قيمة الفنان تنخفض وترتفع تبعا لقلة وغزارة إنتاجه ، وأن أم كلثوم لا تغنى الآن من ألحانه .

ولما سمعت بذلك السيدة أم كلثوم ، لم ترض عن هذا التصرف الشاذ ، ووعدت بالاتصال بالمسئولين لمنح القصبجى حقه المشروع .. وفعلا كان لتدخلها نتيجته الطيبة ، وقبض القصبجى أجره كاملا غير منقوص !!

وهذا الموقف وغيره من المواقف الكريمة من جانب السيدة أم كلثوم ، تجاه القصبجى ، إن دلت على شىء فإنما تدل على مدى نظرتها العميقة له ،

وتقديرها الذى لا حد له لفنه... وكان القصبجى نفسه يحس هذا الإحساس ، ولهذا لم يخاصم أم كلثوم لأنها لا تغنى ألحانه ، ولم يتخل عن العمل معها ، ولم تقل درجة وفائه وإخلاصه لها ، وظل مقيما على العهد .

❋ ❋ ❋

وإذا كان التعامل الفنى – بمعناه الواسع بين أم كلثوم والقصبجى قد وقف عند «رق الحبيب» فى عام ١٩٤٦ ، إلا أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن أم كلثوم لم تتخل عنه كملحن ، بل كانت تحاول من جانبها أن تشجعه على التلحين ، فعهدت إليه بتلحين بعض أغانيها بعد ذلك العام ، ولكن هذه الألحان لم تغنها أم كلثوم ، ولم يسعد الجمهور بسماعها بأنغام القصبجى .

حدث فى عام ١٩٥٤ أن اختارت أم كلثوم أغنية وطنية من شعر أحمد رامى ؛ مطلعها :

يا دعاة الحق هذا يومنـــا

لكى تسجلها بالإذاعة بمناسبة أعياد الثورة ، وطلبت من القصبجى تلحينها ، وعاد الأمل من جديد إلى قلب القصبجى ، وأحس بأن أبواب السماء بدأت تتفتح له مرة أخرى ، وتوجه بقلبه إلى الله أن يلهمه التوفيق والسداد وأن تنزل أنغامه فى أذن أم كلثوم منزلا حسنا ، وبدأ يلحن كلمات الأغنية وكان من فرط فرحته ونشوته ، أنه كلما انتهى من تلحين مقطع منها حمل عوده وأسرع إلى فيلا أم كلثوم بالزمالك يسمعها ما لحنه ، وكانت تبدى له علامات الرضاء فيعود إلى منزله منشرح الصدر قرير العين ، وظل هكذا إلى أن انتهى من تلحين نصف الأغنية . وجاءت أم كلثوم إلى منزل القصبجى لسماع اللحن ،ومعها الشاعر أحمد رامى ،وكنت أنا رابعهم، وأمسك القصبجى بعوده وراح يغنى اللحن ، وهو يدعو الله فى قرارة نفسه أن يلقى إعجاب أم كلثوم ورضاءها ، ولكن أمله خاب ، ولم تقتنع أم كلثوم بلحن الأغنية ، وأشارت عليه بأن يعيد تلحينها من جديد ، وحاول القصبجى

أن يؤكد لها أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، ولكن دون جدوى ، وعلى ذلك لم تغن أم كلثوم الأغنية .

وكان موقف أم كلثوم مع القصبجى فى هذه الواقعة كريما . فإنها لم تفكر فى أن تعهد بالأغنية إلى ملحن آخر ، وإنما اعتذرت عن الغناء كلية ، واكتفت بأغنيتها المعروفة (مصر التى فى خاطرى وفى فمى) التى سجلتها فى العام السابق ، وسافرت إلى الاسكندرية لتقضى فترة الصيف ..

وشاء القدر أن تكون أغنية (يا دعاة الحق) من نصيب المطربة فايدة كامل وكنت وقتئذ محررا بدار أخبار اليوم ، وكتبت موضوعا عن هذه الأغنية نشر بمجلة (الجيل الجديد) بعددها الصادر فى ٢-٨-١٩٥٤ تحت عنوان : (الأغنية التى انتقلت من أم كلثوم إلى فايدة كامل) .

***

ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى يحاول فيها محمد القصبجى أن يلحن لأم كلثوم بعد أغنية (رق الحبيب) ولم يكتب له التوفيق .

فقد كان مقررا أن نسمع تحفة السنباطى (سهران لوحدى أناجى طيفك السارى) بأنغام القصبجى ، وبدأ القصبجى فى تلحين الأغنية من نغمة جديدة ، أطلق عليها (ما وراء النهرين)(١) وهى تشبه إلى حد كبير نغمة (التكريز) مع تغيير طفيف فى تسلسل الدرجات الصوتية ، ولكن أم كلثوم لم ترض عن لحن الأغنية ، فسحبت كلماتها من القصبجى وعهدت بها إلى رياض السنباطى .

كما كان منتظرا أن ننعم بسماع أغنيتين أخريين من الأغانى التى أنشدتها أم كلثوم فى السنوات الأخيرة من تلحين القصبجى ، وهما :

نشيد الجلاء (يامصر إن الحق جاء ، فاستقبلى فجر الرجاء) شعر

---

(١) ودرجاتها صعودا وهبوطا : راست ـ زوكوله ـ كرد ـ حجاز ـ نواه ـ ماهور ـ وتتكون من جنس حجاز نواه وجنس همايون .

أحمد رامى ، و (للصبر حدود) تأليف عبد الوهاب محمد . ولكنهما كانتا من نصيب الملحن محمد الموجى .

ومما يذكر أن كلمات أغنية (للصبر حدود) التى كان مفروضا أن يلحنها القصبجى كانت تقول :

أنا حبى مالهش حدود   إنما للصبر حـــدود
وإن كنت صبرت زمان   على نار وعذاب وهوان
أهى غلطة ومش حتعود   ولو ان الشوق موجود
وحنينى إليك موجود   إنما للصبر حـدود
للصبر حدود يا حبيبى

ثم عدلت أم كلثوم البيت الأول وصدر البيت الثانى ، فأصبحت :

ما تصبرنيش بوعود   وكلام معسول وعهود
أنا ياما صبرت زمان   على نار وعذاب وهوان
وهى غلطة ومش حتعود   ولو ان الشوق موجود
وحنينى إليك موجود   إنما للصبر حـدود
للصبر حدود يا حبيبى

***

ومع هذا كله ، كان القصبجى لايفوته أن يعرض على مسامع أم كلثوم كل لحن جديد يصنعه لأى مطرب أو مطربة ، وكانت تبدى له ملاحظاتها بصراحة ، وكان هذا يرطب قلبه ويسعده .

حدث أن أسمعها فى عام ١٩٦٠ لحنا أعده للمطربة سعاد محمد ، وبعد أن انتهى من أدائه سألته فى دهشة :

– من أين لك بكلمات هذه الأغنية ؟ فقال :

– من الإذاعة ..

ولما سألها عن سر هذا السؤال ، أجابت بأن نص هذه الأغنية موجود لديها ، لأنها تفكر فى غنائها : وعرف القصبجى – فيما بعد – من الشاعر عبد الفتاح مصطفى مؤلف الأغنية ، أنه حقيقة عرضها على أم كلثوم، ولما طال بقاؤها لديها دون أن تقرر مصيرها ، قدمها للإذاعة ، ومطلع هذه الأغنية :

اللهء الحب لما يروق ويحلا صفاه
لما يوافينى حبيبى وانسعد برضاه

***

ومع أن أم كلثوم فعلا لم تغن ألحانا جديدة للقصبجى فى حفلاتها بعد (رق الحبيب) ، إلا أن نظرتها وتقديرها له ولفنه لم تتغير ، ولم تهبط ، فإنها تشيد دائما بعلمه واقتداره فى مختلف علوم الموسيقى ، وتكن له كل تقدير وإعزاز ، بل كانت تحرص على أن تتعرف على رأيه فى كل لحن جديد تغنيه ، وكانت أول من تسعى للسؤال عنه إذا مرض، أو إذا أصيب بمكروه ..

أذكر حينما اجتمعت لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٢ للنظر فى الترشيح لجائزة الدولة التقديرية فى الموسيقى لعام ٦٢–١٩٦٣ وكان كل من القصبجى وأم كلثوم عضوا بتلك اللجنة ، وكانت اللجنة قد درجت على ترشيح المهندس أبو بكر خيرت لهذه الجائزة فى الأعوام ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ولم يفز بها فى أى عام من هذه الأعوام – أذكر أن أم كلثوم تكلمت يومئذ بصراحة ، وأعلنت أن هذه الجائزة يجب أن تمنح لأحـــد الفنانين الذين أدوا خدمات حقيقية إلى الموسيقى العربية . ورشحت ثلاثة ؛ كان فى طليعتهم القصبجى .

وكان أن حصل القصبجى – على أثر هذه التزكية الطيبة – على أغلبية الأصوات،ورشحته اللجنة بالإجماع ، وهنأه جميع الأعضاء الحاضرين ، ومن بينهم المرحوم أبو بكر خيرت .

وأصبح القصبجى بهذا الترشيح واحدا من خمسة رشحوا لنيل الجائزة فى (الفنون الجميلة) وهم:

راغب عياد	(فنان تشكيلى)
زكى طليمات	(مخرج مسرحى)
على لبيب جبر	(مهندس معمارى)
محمد كريم	(مخرج سينمائى)
محمد القصبجى	(مؤلف موسيقى)

ولكن الجائزة لم تكن من نصيب الموسيقى فى ذلك العام — شأنها فى ذلك شأن الأعوام السابقة، وفاز بها المهندس المرحوم على لبيب جبر!!

القصبجى والصحافة

كان معظم كبار الصحفيين من أعز أصدقاء القصبجى ، يجاملهم فى أفراحهم وفى مسراتهم وفى ليالى أنسهم ، وكان يمدهم بأخبار وأحاديث عن الفن وأهل الفن ، ولكنه مع هذا كان يكره الصحافة أحيانا ، لسببين : أولهما — أنها كانت تنشر عنه معلومات محرفة ، وأنباء غير صادقة . وثانيهما — أنها لم تكن تنبرى للدفاع عنه عندما انصرف عنه منتجو الأفلام وأهملته الإذاعة والتليفزيون .. وقد حدث أن نشرت مجلة الإذاعة بعددها الصادر فى ٢٨ يناير ١٩٥٦ مقالا للأستاذ محمد على غريب ذكرفيه أن « محمد القصبجى ولد من أب مصرى وأم أرمنية » ، وغضب القصبجى ، واتصل بى تليفونيا قائلا :

« هل يرضيك أن يكتب أن أمى كانت أرمنية ، وأنت تعلم أنها مصرية ومسلمة ١٠٠٪ واسمها عائشة عثمان بشناق ؟ »

ولم يهدأ إلا بعد أن أكدت له أنها دعابة من صديقه محمد على غريب .

ونشرت مجلة (آخر ساعة) يوم الأربعاء ٢٩—١٠—١٩٦٣ خبرا فى مكان بارز على عمودين وإلى جانبه صورته ، تقول فيه :

« إن محمد القصبجى فى حالة خطيرة ، وأجريت له عدة تحاليل طبية ، وأشعة على المعدة ولكن الأطباء لم يصلوا إلى نتيجة لسبب مرضه ، وقد حاولت أم كلثوم الاتصال به ولكنه كان فاقد النطق تماما ويبكى باستمرار من الألم الشديد » .

وأشهد أننى لم أر القصبجى — فى حياتى — ثائرا بالصورة التى كان بها على أثر قراءته هذا النبأ ، فإن أكثر ما كان يزعجه ويؤرقه ، أن يشاع عنه

أنه عاجز عن العمل ، واتصل على الفور بكبير مسئول فى دار أخبار اليوم ، وعبر له عن استيائه الشديد لهذا الخبر ، وفى اليوم التالى أى ٣٠ من أكتوبر ١٩٦٣ ظهر النبأ الآتى تحت عنوان (القصبجى بخير)

«أبلغ أحد السخفاء إحدى المجلات أن الموسيقار محمد القصبجى فى صحة سيئة ، وقد اتصل الأستاذ القصبجى بالأخبار وقال إنه فى صحة جيدة ، وأن الذى دس الخبر على المجلة قصد أن يسىء إليه وإلى عمله وأنه بحمد الله يتمتع بصحة جيدة» .

ولم يجد القصبجى فى هذا التصحيح مايرد اعتباره ، وتوجه إلى صديق محرر بجريدة (المساء) وشرح له الأمر ، وصدرت «المساء» فى نفس اليوم تحمل الكلمة التالية بعنوان (ثورة القصبجى) جاء بها :

«إن القصبجى لم يفقد النطق ، وليس فى حالة خطرة ، وقد زارنا فى (المساء) على قدميه ، وصعد إلى الدور الثالث على قدميه بلا استعانة بالمصعد ، والألم الشديد الذى أصاب القصبجى هو الخبر الذى نشر عنه ، فقد تسبب فى إصابة أخت له بالشلل وأخت أخرى بالانهيار ، إن المعروف أن القصبجى يعول أربع أخوات له بأبنائهن الستة عشر ، إن الرجل الوديع قد خرج عن حلمه وانتابته ثورة على الصحافة والصحفيين وهو محق فى ثورته ، ولا يكفى إطلاقا أن تعتذر جريدة صباحية عن الخطأ الذى وقعت فيه المجلة التى تصدر عن الدار نفسها فى سطور قليلة ، وإنما الواجب أن يرد للقصبجى اعتباره كاملا ، وأن يؤاخذ المحرر الذى كتب الخبر ودسه على جريدته ، خاصة وأنه كان فى زيارة للقصبجى فى بيته قبل نشر الخبر بعدة أيام وكان القصبجى فى أتم صحة .

إن واجب صحافتنا الإشتراكية أن تراعى الدقة فى تحرى أخبارها حتى لاتتسبب الإثارة الصحفية فى الإضرار بالناس وانعدام ثقتهم فيما يقرءونه فى الصحف والمجلات» .

زوجات القصبجي

عاش القصبجي ومات دون أن يعرف المحيطون به على وجه التحديد ، هل تزوج فى حياته ، أم أنه لم يتزوج ؟ فقد كانت حياته سرا له ، ولا شك أن الحرص الذى كان يتمثل فى كل تصرفاته ، كان يدعوه لأن يسمع كثيرا ويتكلم قليلا ، وكان يعتبر حياته الخاصة ملكا له وحده ، ولذلك لم يكن يبوح بها لأحد من زملائه ..

والواقع أن القصبجى تزوج أربع مرات ، كانت أولى زوجاته فتاة تركية اسمها (هاجر) من أسرة عثمان نورى الذى كان أحد قضاة استانبول ، وجاء إلى مصر حيث اشتغل فى تجارة الروائح العطرية بحى الموسكى ، تزوج منها عام ١٩٢٢ ، ولم يدم هذا الزواج أكثر من ثلاث سنوات ، ثم انفصل كل منهما عن الآخر .

أما زوجته الثانية فكانت فتاة أخرى اسمها (زينب) لم تستمر معه سوى عامين اثنين .

ثم تزوج للمرة الثالثة فى أول يناير ١٩٣٠ من تلميذته (رين فيتانيم كروب) صاحبة الصوت التى اكتشفها عام ١٩٢٨ وكانت تغنى ألحانه فى أوبريت (نجمة الصبح) التى قدمتها فرقة نجيب الريحانى ، وذلك بعد قصة حب عنيف دامت سنتين ، وبعد أن أشهرت إسلامها بمحكمة القاهرة الابتدائية الشرعية وأصبح اسمها (هدى محمد المهديه) .

ولم يرزق القصبجى بأولاد من زوجاته الثلاث ، وكان يمنى نفسه بطفل يقر به عينه ، فلجأ إلى الزواج عام ١٩٣٢ من سيدة مصرية سبق أن أنجبت أطفالا ، لعله يرى الذرية على يديها .. فكان زواجه من سيدة اسمها (توحيدة

حسين عيسى) كان والدها شريكا له فى منزله الذى كان يمتلكه بشارع الخليج المصرى .

وعاش القصبجى مع زوجتيه الثالثة والرابعة ، حتى يومه الأخير دون أن ينجب أطفالا ..

ومن حق هاتين الزوجتين أن نذكرهما بالتقدير ، فقد كرستا حياتهما لخدمته والسهر على راحته ، وخاصة فى أيام مرضه .

وكان محمد القصبجى ، وقد نشأ نشأة دينية وحفظ القرآن وهو صغير ، يعامل زوجتيه بالعدل والمعروف ، وكان حريصا كعادته على التوفيق بينهما ، محققا كل رغباتهما .

مدارس القصبجى

بدأ القصبجى حياته الفنية بغناء ألحان عبده الحمولى ومحمد عثمان . ولذلك جاءت ألحانه الأولى من أدوار وموشحات امتدادا طبيعيا لفنهما ، إلا أن تأثره بمن سبقوه من الملحنين لم يدم طويلا فى مختلف المجالات التى نبغ فيها .. فى التأليف الغنائى أو التأليف الموسيقى والمسرحى ، أو فى العزف على العود .. حتى والده الذى علمه أسرار الفن . . لم يؤثر على تفكيره الموسيقى .

كانت أحلامه التى يراها فى نومه .. هى التى تسيطر عليه وتوجهه فى إنتاجه ، فكان كل ما يسمعه فى منامه يعزفه فى اليوم التالى على عوده .

لم يحاول أن يقلد أحدا فى أدائه أو فى أسلوبه ، لذلك كانت للقصبجى شخصيته المستقلة وطابعه المستمد منها ، ومدرسته الخاصة فى التلحين وفى العزف .

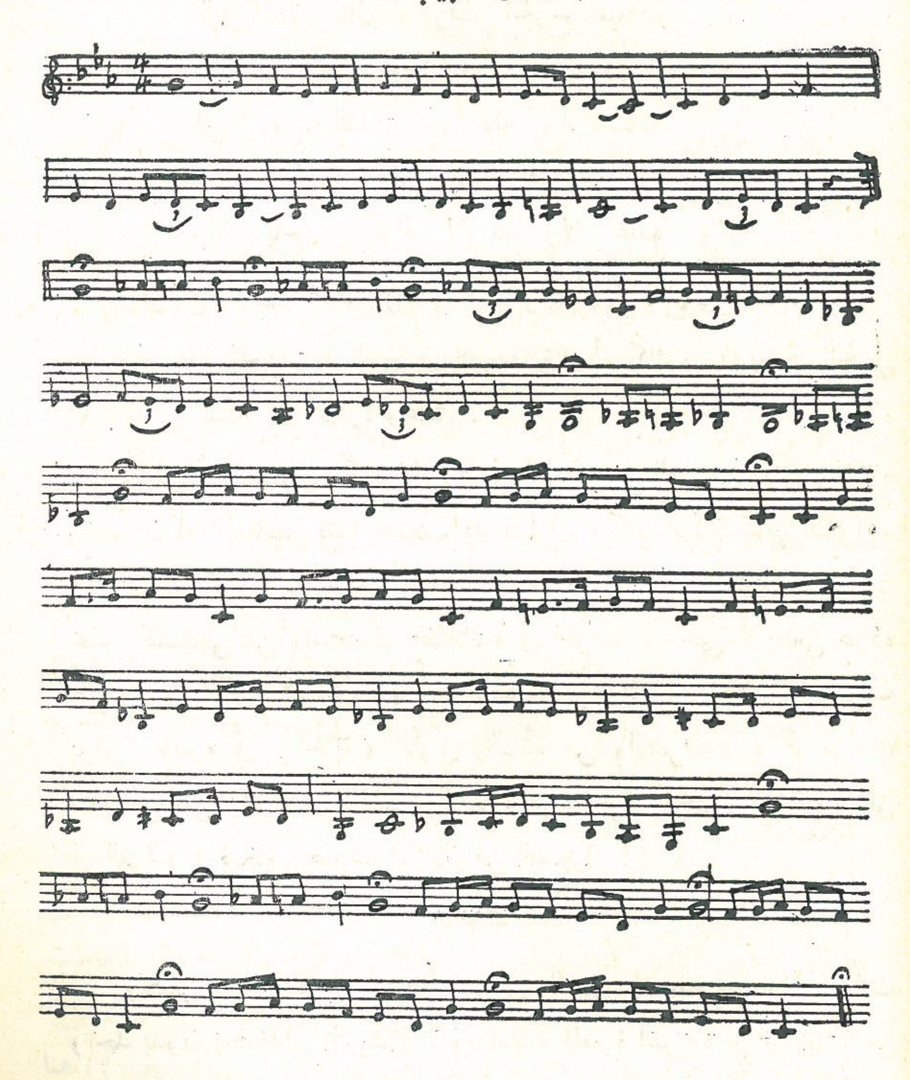
فقد بدت عبقريته الموسيقية فى قصيدته (ان حالى فى هواها عجب) فكانت لونا جديدا من الفن تحرر فيه من الرتابة التى تتسم بها القصائد التى ظهرت فى العشرينات من هذا القرن .

كما بدت أيضا هذه العبقرية فى منلوج (إن كنت اسامح) الذى يعتبر فتحا جديدا فى فن التلحين ، وسار الملحنون جميعاً على نهجه .

وفى الصورة الغنائية (رق الحبيب) بلغت عبقريته شأوها ، سواء فى مقدمتها الموسيقية المنسقة ، أو فى أجزائها اللحنية المختلفة الأنغام والإيقاع ، والتى تعبر عن معنى كلمات الأغنية أصدق تعبير ، أو استخدام الآلات .

المقدمة الموسيقية لأغنية

(رق الحبيب)



وتتميز مدرسته فى التلحين ، بهندسة البناء والجمل الموسيقية التى تقوم على أساس علمى ، وذوقه الخاص ، وتتميز بالمسافات الصوتية المتباعدة .

وتظهر براعة واقتدار محمد القصبجى فى العزف على العود مع صوت الفنانة أم كلثوم فى موال (الليل أهو طال) ونصه :

الليل أهو طال وعرف الجرح ميعاده
وجف دمعى وجفنى من دمى عـــاده
لهفى على القلب فى ذله وأوعـــاده
لا نار أقول نار وهى من الفؤاد تبرح
وإن باح بشكواه لازاده ولا عاده

وهو من تأليف مصطفى (بك) نجيب والد الفنان سليمان نجيب .

وفى هذا اللحن يمهد القصبجى بعوده لغناء أم كلثوم ، ويترجم الجمل الغنائية التى تشدو بها بمهارة وعمق .

والحق أن القصبجى كان لايبارى فى العزف على العود ، يخشاه زملاؤه ويحسبون له الحساب كلما جمعهم به عمل ، وكان الفنان سامى الشوا ، قبل أن يشترك معه فى تسجيل السماعيات والبشارف على اسطوانات ، كان يحذر القصبجى من «استعمال عضلاته» فى العزف ، حتى لا يطغى عوده على صوت الكمان الرقيق ، وكان القصبجى يطمئنه ، وفعلا كان يعزف برفق وهدوء فى (الخانة) الأولى والثانية من «البشرف» ، ثم سرعان ما يتخلى عن هدوئه فى الخانتين الثالثة والرابعة و (يزخم) بشدة وينطلق فى العزف ، فيختفى صوت الكمان من التسجيل !!

***

وتتميز مدرسته فى العود بالبراعة فى البصم على عدة مقامات فى وقت واحد بدون استخدام (الريشة) ، وتقاسيمه المعبرة الفريدة فى نوعها ، من حيث تكوينها وتشكيلاتها المبتكرة ، وهذه التقاسيم ترجمة غنائية لليالى

والموال التى كان يؤديها أقطاب الغناء الذين يجيدون أداء (القفلات) العامرة بالطرب وبالذبذبات التركية فى العفق .

ويخيل إليك وأنت تسمع القصبجى على الفور أنه يعزف على الجيتار أو الماندولين أو البانجو ، وكانت الأنغام تجرى بين يديه فتنفذ إلى حبات القلوب ..

***

ومن الفنانين البارزين الذين تأثروا بمدرسة القصبجى فى العزف على العود ، الموسيقار الموهوب رياض السنباطى ، الذى تعلم أصول العزف على يد المرحوم محمد شعبان ، الذى كان من أهل الصناعة بمدينة المنصورة ، وأعجب السنباطى بأسلوب القصبجى ، فكان يشترى اسطواناته التى تحمل تقاسيمه من صاحب محل ساعات وفونوغرافات يدعى (خورى) بالمنصورة ، ويسمعها ليل نهار ، حتى يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يعزفها على عوده .

ومن ألحان القصبجى التى يعتز بها الفنان رياض السنباطى « ياريتنى كنت النسيم — إن حالى فى هواها عجب — رق الحبيب — ياللى ودادك صفالى — يا مجد ياما اشتهيتك — ياللى صنعت الجميل — منيت شبابى » .

كما تأثرت المطربة نادرة بأسلوب القصبجى فى العود وترسمت خطاه .

ولم يكن القصبجى ملحنا وعازف عود ومؤلفا موسيقيا فحسب ، بل كان فوق ذلك عالما بأسرار الموسيقى العربية ، وضليعا فى علم الأنغام ، وكان يثبت علمه فى جميع المناقشات الفنية التى تدور فى المحافل والاجتماعات الموسيقية .

أذكر أنه فى أحد اجتماعات حلقة بحث الموسيقى العربية الثانية ، التى نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون عام ١٩٦١ ،والتى نوقشت فيها المقامات الموسيقية ، أشار عبد الحليم نويره وجورج ميشيل إلى أن درجة (الحسينى) فى مقام (الجهاركاه) تنقص بمقدار نصف بيمول ، أى أنها (تلك حصار) وهنا

وجم أعضاء الحلقة ،ولم يقتنعوا فى بادئ الأمر بهذا الرأى ، فنهض القصبجى وانضم إلى زميليه مؤكدا هذه الحقيقة ، وقال إن الدرجة الثالثة فى مقام (الجهاركاه) ليست وحدها التى تنقص نصف بيمول ، وإنما أيضا الدرجة الرابعة تنقص نفس المقدار ، وأثبت محمد عبده صالح هذه الحقيقة عمليا بعزف بعض التقاسيم من مقام (الجهاركاه) على آلة القانون .

وفى هذا الاجتماع استقر رأى أعضاء الحلقة على استبعاد جنس (الجهاركاه) من الأجناس التى أقرتها حلقة البحث الأولى واعتباره من ألوان جنس (العجم) .

الفراغ الذى كان يعيش فيه

ولم يكن ينغص حياة القصبجى فى سنواته الأخيرة ، ويقض مضجعه ، سوى عدم الإنتاج الفنى ، الذى سبب له فراغا كبيرا كان يعيش فيه . فقد كان يشعر بينه وبين نفسه ، أنه قادر على العمل ، وقادر على الابتكار ، وأنه ما زال بخير كملحن ، ومؤلف موسيقى ، وعازف عود ، وأستاذ فى علم الغناء والأداء .. لم يفقد ثقته بنفسه ، ولم يفقد المستمعون وأهل الصناعة ثقتهم فيه .. ومع هذا فإنه لايعمل .. بينما زملاؤه ممن هم أقل منه مكانة وقدرة ، غارقون لآذانهم فى الألحان ، يعملون ليل نهار .. أما هو ، فإنه (مودع على الرف) تفكر فيه الإذاعة مرة كل عام بلحن يتيم !! ولا تفكر فيه شركات الاسطوانات وشركات الأفلام ، وهو الذى ملأ الدنيا ألحانا ومعزوفات سنوات طويلة ، كما أهمله المسئولون حين أنشئ المسرح الغنائى عام ١٩٦١ مع ما خلف من آثار فى هذا المجال ، وعندما أنشئ (الكنسرفاتوار) عام ١٩٥٩ ، لم يتصل به أحد ، وهو الذى تخرج عليه عشرات من أساتذة ومفتشى الموسيقى .. كان هذا النكران يؤرقه دائما ، وكنت تراه أحيانا يدعو ربه الإنصاف ..

والواقع أن القصبجى كان يخالجه شعور بالمرارة التى يشعر بها الكريم إذا ضيم ، أو صاحب الحق إذا أهمل ، فكان يزيد من شعوره أنه لم يدخل التليفزيون منذ إنشائه فى عام ١٩٦٠ إلا بعد خمس سنوات ، أى فى عام ١٩٦٥ !!

ولهذا السبب كان القصبجى يرفض بشدة أن يظهر على الشاشة الصغيرة فى برنامج (سهرة مع فنان) أو برنامج (نجمك المفضل) رغم إلحاح

السيدتين أمانى ناشد وليلى رستم ، وكان يقول لى كيف لايعترف بى التليفزيون كملحن ، ثم أشترك فى برامجه ؟ هل مهنتى هى الكلام .. أم التلحين ؟

وهنا أنقل بعض فقرات مما نشره الأخ الناقد عبد الفتاح البارودى فى جريدة «الأخبار» الصادرة يوم ٢٩ مايو ١٩٦٤ تحت عنوان :

أين القصبجى فى التليفزيون ؟

« كيف نفسر هذه التصرفات التى تحدث فى أغانى التليفزيون ، هل تصدق أن محمد القصبجى ، الذى يعتبر من أساتذة التلحين ، لم يظهر له على شاشة التليفزيون أي لحن ، بينما نرى عشرات الألحان لمحاسيب برنامج (كل شىء) ؟

من باب المصادفات ، أخذ القصبجى أغنية واحدة فى أول فبراير الماضى ، ولحنها فعلا ، ولكنه يبحث الآن عن طريقة يدخل بها التليفزيون من أحد الشبابيك. »

وبعد مضى سنة كاملة على نشر هذه الكلمة ، تناول البارودى الموضوع مرة أخرى ، حيث كتب فى جريدة «الأخبار» يوم ٣١ مايو ١٩٦٥ الكلمة التالية تحت عنوان :

أول أغنية للقصبجى

وأخيراً .. أخيراً جداً .. دخل القصبجى استوديوهات التليفزيون ، وسجل أغنية .. الأغنية من تأليف إمام الصفطاوى وغناء نادية نور .

والمدهش أن هذه أول أغنية يلحنها للتليفزيون القصبجى ، بينما لحن « الضفادع » عشرات بل مئات الأغانى .

أظن أن هذا يكفى للدلالة عن أن نظام تعامل التليفزيون يحتاج إلى إعادة نظر .

فلا جدال فى أن القصبجى ملحن كبير ، وهو أحد الذين نقلوا ألحاننا من مرحلة الطرب إلى التعبير ، ومع ذلك لم يعرف طريق الوصول إلى الكاميرا .. لماذا ؟ ...

هذه مشكلة سبق أن نبهنا إليها ، وفعلا كلف بتلحين هذه الأغنية ثم اختفت فى مجاهيل الشرائط والتسجيلات إلى أن عرف الدكتور حاتم بالموضوع فأمر بتسجيلها وإخراجها ، وتبين فعلا أنها من أحسن الأغانى التليفزيونيه .

كان من الجائز أن تظل الأغنية « مركونة » على الرف وأن يظل هذا الملحن الكبير خلف الكاميرا ، لولا النقد الموضوعى الذى يكشف مثل هذه (المواضيع) .

إن المسئولين عن التليفزيون مشكورون لأنهم يحاولون تصحيح الأخطاء ، وأظن أنه كان مما يثير الدهشة ، أن ملحناً كالقصبجى لا يتعامل مع الكاميرا .. ولهذا سننتقد لتصحيح الأخطاء ...

عبد الفتاح البارودى

***

وحتى هذا اللحن اليتيم الذى سجله القصبجى للتليفزيون ، تم بعد جهاد ومشقة وعذاب ، ولولا تدخل الدكتور عبد القادر حاتم ، لما رأي النور .. فقد حدث أن كلف القصبجى بتلحين هذه الأغنية على أساس أن تغنيها المطربة فايزة أحمد ، وكان القصبجى سعيداً لأن تشدو فايزة لأول مرة بلحن له ، فأولى الأغنية كل اهتمامه ، وفجر فيها كل طاقاته الفنية ، وانتهى من تلحينها ، وأخذ يبحث عن المطربة ، فلم يعثر عليها .. اتصل بالمسئولين فى التليفزيون ، فأشاروا عليه بتحفيظها للمطربة نادية نور ، وقام بتحفيظها لها ، ولكنها اتصلت به بعد أيام ، وقالت له إنها علمت من أحد المسئولين أنها استنفدت « دورتها » فى التليفزيون ، وليس لها أن تسجل أى لحن بعد ذلك !! ، ولجأ إلى رحاب المسئولين فصدر الأمر بتسجيل لحن القصبجى فوراً .. وتعيينه عضوا فى جميع اللجان الموسيقية التوجيهية التابعة لقطاع الثقافة والإرشاد القومى .

القصبجى والألحان الريفية

ورغم كثرة إنتاج القصبجى من الألحان ، إلا أنه خلا من أى لحن بدوى أو ريفى ، مع أنه كان معجبا بألحان زميله المرحوم زكريا أحمد فى فيلم (سلامه) التى منها (غنى لى شوى شوى) و (عن العشاق سألونى) و (سلام الله على الأغنام) ، وكذلك لحن (خلى السيف يجول) الذى يغنيه محمد الكحلاوى ، وألحان أحمد صدقى (ياجمرة طالعة) و (كلفة جميصلك جصب يابنت عمدتنا) .

والواقع أن ألحان القصبجى يمكن اعتبارها كلها من اللون الجاد (الكلاسيكى) وليس فى إنتاجه أثر من التراث الشعبى .

ومع أن القصبجى لم يكن يعيش بمعزل عن الشعب وأحيائه ، بل كان يجوب الأزقة والحوارى والدروب فى الأحياء الشعبية . . المناصرة والبلاقسة والفواله ووكالة البلح وسوق (الكانتو) يفتش عن الآلات (الخردة) والأسلاك والأدوات الكهربائية ، باحثاً عما يلزم لكل عملية هدم أو ترميم أو طلاء تحدث فى منزله ، واقفاً بالساعات بين عمال البناء من إخواننا أبناء الريف والصعيد ، يتحدث إليهم ويتحدثون إليه ، إلا أنه برغم هذا كله ، لم ينفعل بحياة هذه الطوائف ، ولم تظهر ملامحها ولهجاتها العريقة فى إنتاجه الفنى .

ويعلل القصبجى ذلك بأن مثل هذا اللون من الألحان لا يتمشى واتجاهه الذى برع فيه وملك ناصيته .

ندوتان عن القصبجي

واشترك القصبجي فى عدد ضخم من الحفلات والندوات التى أقامها معهد الموسيقى العربية ، ولم يكن اشتراكه مقصوراً على العزف بالعود ، منفرداً أو مع بعض زملائه الموسيقين ، بل كان يغنى بصوته بعض ألحانه التى كان يعتز بها ، وفى مقدمتها (رق الحبيب) .

ورغم الفارق الهائل بين صوت القصبجى الأجش ، وصوت أم كلثوم الملائكى — إن جازت هذه المقارنة — إلا أن المستمعين كانوا ينصتون إليه لحسن تصرفه وقوة إبداعه .

وقد قمت بتنظيم ندوتين عن القصبجي فى شهر ديسمبر عام ١٩٦٥ ، تناولت فيهما كفاحه الفنى ، وتطور إنتاجه ، وعرضت نماذج من ألحانه خلال الأربعين سنة الماضية ، وكان يجيب على كل سؤال يوجه إليه من الحاضرين بلباقة واقتدار .. والحق أن هاتين الندوتين كانتا من أنجح الندوات التى قدمها المعهد ، وكنت أهدف من وراء تنظيم هاتين الندوتين إلى خدمة غرضين : تعريف أبناء هذا الجيل بعظمة هذا الفنان الكبير ، وأن يترسم ملحنو اليوم خطاه ، ثم تكريمه فى حياته وخاصة أنه لم يجد الإنصاف الذى يستحقه ، بل ظل بعيداً عن الأضواء خلال عشرة الأعوام الأخيرة كاد ينساه فيها الجمهور .

***

ومما يذكر أن القصبجى الذى لم يكن يسمح لأحد من زائريه — مهما كانت مكانته لديه — أن يلمس بيده شيئاً ، أو يضىء أو يطفئ النور الكهربائى ، أو يحرك مؤشر الراديو ، أو يدير جهاز التسجيل أو يلمس مفتاح التليفزيون ،

أو يلتقط كتاباً أو جريدة من مكانها .. قد سمح لى راضياً ، أن أقلب مئات الاسطوانات التى تزخر بها مكتبته الموسيقية ، واختار منها ما يروق لى لتقديمها فى الندوتين المذكورتين ، كما أذن لى بالاستعانة بأحد أجهزة (البيك آب) التى يملكها ..

وأجد فى هذا التسامح تقديراً لى عن المجهود الذى بذلته فى إحياء هاتين الندوتين ، وهدفاً منه فى إظهار آثاره وتقدير فنه .



محمد القصبجى يشيع جثمان زميله زكريا احمد الى مثواه الأخير وقد ظهر عن شماله المرحوم بديع خيرى وعن يمينه المؤلف

أضواء على شخصيته

لقد كان القصبجى عفيف النفس ، لم يحاول أن يستغل صديقاً أو زميلا ، كان يكره أن يكلف أحداً بما يريد ، كنت كلما سافرت فى مهمة إلى بلد ما ، أسأله عما إذا كان يرغب شيئاً .. وألح عليه فى الطلب فكان يجيب دائماً :

— عايز سلامتك ..

لم يطلب منى إلا مرة واحدة ، أن أشترى له ثلاث اسطوانات من مؤلفات تشايكوفسكى ، وذلك عندما سافرت إلى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٧ بمناسبة مهرجان الشباب العالمى السادس الذى أقيم بموسكو ، وأحضرت له الاسطوانات الثلاث ، ولكنه أصر على أن يدفع ثمنها .. وحاولت أن أقنعه أن يتقبلها هدية متواضعة ولكن دون جدوى ... مع أنه كان يهتم دائماً بأن يهدينى شيئاً فى كل مرة يسافر فيها إلى الخارج !!

وكان ذلك شأنه مع جميع أصدقائه وزملائه ، لا يطلب منهم شيئاً بينما هو لا ينساهم فى رحلاته !

***

وكان القصبجى صريحاً ، لا يعرف اللف والمداورة ، سألته مرة عن رأيه فى المطربات اللائى أنشدن ألحانه فقال :

• يعجبنى فى منيرة المهدية .. قوة شخصيتها .

• وفى أم كلثوم .. لباقتها وذكاؤها وبديهتها الحاضرة ، وشخصيتها الفذة .

• وفى نعيمة المصرية .. ثباتها وطيبة قلبها .

• وفى فاطمة قدرى .. قدرتها فى المحافظة على (الواحدة)

• وفى فتحية أحمد .. تقديرها لجميع الفنانين .
• وفى نجاة على .. وداعتها .
• وفى ليلى مراد .. مرحها .
• وفى أسمهان .. كرمها الذى بلغ حد الإسراف .

***

وكان القصبجى دقيقاً ومنظماً لكل شىء .. مواعيد تجاربه ، وتسجيلاته وأوقات طعامه ونومه ..

كان لا ينام أكثر من أربع أو خمس ساعات فى اليوم ، حتى ولو سهر فى الليلة السابقة وكان غير مرتبط بعمل يحتم عليه أن يستيقظ مبكراً ، وكان يعيب على أقرانه الذين يعيشون عيشة (بوهيمية) لايكترثون بمواعيد أعمالهم ، ويغطون فى نومهم حتى وقت الظهيرة ، وكانت تستولى عليه الدهشة ، حينما يسأل عن زميل له فى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً ، ويقال له : إنه نائم !!

وكان القصبجى — بسبب نشأته الدينية — متديناً ، متطرفاً فى تدينه ، لايبدأ عملا إلا إذا استهله باسم الله ، كان إذا أصيب أحد من أفراد أسرته بمرض . أخذ يمسح رأسه براحته ، وهو يتمتم ببعض الآيات القرآنية .

***

وكان يحافظ على إقامة الشعائر الدينية ، كان يدعونى فى يوم نصف شعبان لتلاوة دعاء ليلة النصف من شعبان وكان يتمنى أن يؤدى فريضة الحج ، ولكنه لم يتيسر له فكلما عزم على السفر ، اضطر إلى التراجع لأن صحته المعتلة لاتحتمل الحر الشديد .. وكان يحتفظ فى غرفة نومه بصورة فوتوغرافية للكعبة الشريفة واعتاد أن يتأملها فى كل صباح ، ويدعو الله أن يوفقه لزيارتها والطواف حولها .

***

وظل القصبجى يؤدى الصلوات الخمس عدة سنوات ، غير أنه فى الفترة الأخيرة ، كان يكتفى بأداة صلاة الفجر .

كما كان لايفطر يوماً واحداً فى شهر رمضان ، إلى أن ظهرت أعراض « القرحة » فى أمعائه فمنعه الأطباء من الصوم حتى يتناول الأدوية فى أوقاتها .

***

وكان القصبجى يحمل بين جنبيه قلباً رحيماً ، وكان خادم إخوانه ، يشاركهم أحزانهم وأفراحهم ، إذا دعى فى حفلة عرس راح يغنى — مع أنه لم يكن مطرباً — ثم يعزف على العود ساعات ، وكان يشترك فى كل ندوة يدعى للاشتراك فيها بدون أى مقابل .

***

كان كلما سمع نبأ سيئاً عن زميل له ، حزن وأسرع إلى مواساته ، وكلما وقع نظره على منظر مؤثر اهتزت له أوتار قلبه ، وبدت عليه علامات التأثر .

حينما سمع نبأ حادث الاعتداء على الموسيقار محمد عبد الوهاب مساء يوم ١٤ مايو ١٩٦٠ ، لم ينتظر حتى يحين الصباح ، بل أسرع إلى مستشفى الكاتب ليلا ليطمئن على صحة صديق العمر .

وعندما اشتد المرض على المرحوم محمد حسن الشجاعى مستشار الموسيقى السابق بالإذاعة ، فى شهر يونيو ١٩٦٣ ، كان القصبجى يزوره ويطمئن عليه ، ويحاول أن يسرى عنه ويخفف آلامه برغم أنه لم ينصفه كملحن كبير ، ولما مات حزن عليه حزناً عميقاً ، وحضر حفل تأبينه الذى أقامته جمعية المؤلفين والملحنين بمسرح حديقة الأزبكية يوم ٣٠ يوليه ١٩٦٣ ، وظل حتى نهاية الحفل برغم الحر اللافح الذى كنا نعانيه فى ذلك اليوم !

ولما لم توفق جريدة (الأخبار) فى نشر خبر وفاة الفنانة فتحية أحمد

أطال الله عمرها ، اتصل القصبجى بى تليفونياً فى ساعة مبكرة من الصباح ، يستفسر فى لهفة وبصوت متهدج عن صحة هذه النبأ وكنت قد وقفت مقدماً على حقيقة الأمر ، فقلت له .. إنها بخير ، ولكنه أصر على زيارتها ، وذهبنا سوياً إلى دارها بشارع عدلى ، وحينما رآها ، إنهمرت الدموع من مآقيه !!

***

وأذكر حينما عهدت لجنة جمع تراث الفنانين بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون إلى القصبجى وإلى بحصر المدونات الموسيقية للروايات التى قدمتها فرقة المرحومة منيرة المهدية ، قمنا بزيارتها فى يوم ١٦ مارس ١٩٦٤ ، بدار ابنة شقيقتها بالمنيل ، فما كاد يراها وهى على فراش المرض ، حتى انفجر بالبكاء كالطفل ، فقد عز عليه أن يرى سلطانة الطرب التى كانت تتربع على عرش الغناء ، وتملأ الدنيا شدواً وغناء ، وهى مريضة لا تتحرك .

***

لهذا كان يحز فى نفسه ، أنه عندما مرض فى شهر سبتمبر عام ١٩٦٤ ، واضطر إلى الاعتكاف وتوالت عليه المحن والنكبات ، لم يجامله أحد ممن كان يجاملهم . . .

ولعل السنتين الأخيرتين ، هما أسوأ الفترات التى مر بها فى حياته الطويلة ، فإنه لم يكن يعانى من الفراغ العريض الذي كان يعيش فيه فحسب ، بل كان يشكو أمراضاً عدة ، ... قرحة فى الاثنى عشر ، وتصلب فى الشرايين ، وصداع مستمر ، وآلام حادة فى أمعائه تشبه السكاكين .

لقد كان يضغط بيده بعنف على ذراعى ، ويقول لى إنه يحس فى أمعائه بأضعاف الألم الذى أشعر به وهو يضغط على ذراعى !!

لقد كان يعيش فى محنة لم يخفف بعض زملائه الفنانين وطأتها بزيارته والسؤال عنه ...

***

وضاعف من هذه المحنة ، ما كانت تطفح به مجارى المياه القذرة أمام منزله وجعلت وصول الأطباء إلى داره أمراً مستحيلا ، وكان يستنجد دائماً بالمسئولين من البلدية والمحافظة لإنقاذه ، ودعاه ذلك إلى التفكير فى الفرار من هذا المنزل ، فاتصل ببعض معارفه لمساعدته فى الحصول على مسكن من المساكن التابعة لمحافظة القاهرة ، ولكنه لم يوفق .

ولم يكن مسكنه صحياً ، كان رطباً لدرجة لا تحتمل ، لا تدخله الشمس ساعة ما من ساعات النهار صيفاً أو شتاء ، لذلك كان المرض يحل دائماً بأهل بيته !!

***

وفى يناير ١٩٦٥ ، أشار عليه الأطباء بوضع رقبة ، « بلاستيك » حول عنقه ، فكانت مصدراً لإزعاجه وإيلامه ، ولم يحتملها أكثر من عشرين يوماً ثم تخلص منها ، لأنه لم يكن مقتنعاً باستخدامها ، لولا أن أكد له صديقه الفنان محمد عبد الوهاب جدواها ، إذ كان قد جربها من قبل وأفادت كثيراً فى علاجه .

ودخل القصبجى المستشفى اليونانى بالعباسية يوم ٢ يوليو ١٩٦٥ لإجراء بعض التحليلات الطبية ، تمهيداً لاستئصال قرحة الاثنى عشر ، ولكنه لم يطق البقاء فى المستشفى أكثر من ثمان وأربعين ساعة قضاها على أعصابه المرهفة ، لأنه اعتاد الحركة والنشاط ، ولم يجد فى المستشفى من ألوان التسلية ما يسرى عنه ويؤنس وحدته .

ويبدو لى أن هناك سببين مباشرين لهروبه من العملية : أولهما ، أنه كان فى خوف من إجرائها ، ولا يتصور أن يمر مشرط الطبيب على جسده ، كما أنه وهو الحريص على نفسه ، لا يريد أن يعرض ذاته للخطر ، لقد كان يخاف الموت ، ولا يطيق أن يسمع نبأ وفاة إنسان ، فالموت ذاته يبعث فى نفسه الهلع ، وكان يحب الحياة ويتشبث بها ، لهذا كان ذكر الموت يهزه ويزعجه ،

وكان يتمنى أن يعيش للنهاية حتى يتمتع بكل شيء فى الدنيا . وثانيهما ــ أنه كان عليه أن يسافر إلى بيروت فى أوائل شهر أغسطس مع السيدة أم كلثوم ، لارتباطها بإحياء بضع حفلات هناك ، وإجراء العملية معناه بقاؤه بالمستشفى فترة قد تطول بحيث تضيع عليه فرصة هذه الرحلة ، والمعروف أن أجره فى الحفلات التى تقام خارج الجمهورية يصل إلى ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه فى مصر .

وردد البعض سبباً ثالثاً ، وهو أن القصبجى عز عليه أن يضحى بتكاليف العملية ، التى قدرت بمبلغ ثلاثمائة جنيه .

وينفى هذا أن القصبجى ــ رحمه الله ــ كان قبل أن يدخل المستشفى يشكو ضيق ذات يده ، وعدم قدرته على دفع المبلغ المطلوب ، .

***

وطار القصبجى إلى لبنان مع الفرقة الموسيقية يوم ٥ أغسطس ١٩٦٥ وعاد يوم ١٥ من نفس الشهر فكتب إلى وأنا فى الإسكندرية الرسالة التالية :

صديقي العزيز الأستاذ محمود كامل

تحياتي وأشواقي ــ أعرفك بأني غادرت لبنان بيروت صباح الأحد ١٥ الجاري ووصلت منزلي الساعة ١٢ ظهرا وأنا في غاية التعب من شدة المرض بالقرحة ورقبتي . الغرض .. أعرفك بأني وصلني منك خطابين خطاب قبل ما أسافر لبنان والخطاب الثاني وصلني اليوم السبت ٢١ وكان بودي سعري أليكم في الإسكندرية ولكن شدة مرضي والآلام من قرحة المعدة وتصلب عضلات رقبتي هو السبب في عدم إمكاني الذهاب إليكم في الإسكندرية . . . وأما الآن حالتي المرضية سيئة جدا جدا لدرجة أني صممت على تسليم نفسي للدكتور الجراح أحمد أبو ذكري لإجراء عملية القرحة والا المنجى .. الغرض أنت وحشتني جدا وأتمنى ح تيجي ولا يخفاك أني لم يكن لي صديق غيرك وأعرفك بأني أحضرت لك الـ (أوله سبايس) ــ وختاما سلامي وسلام عائلتي جميعا لك وللسيدة حرمكم ودمت

لأخيك
محمد القصبجي

٢١/٨/١٩٦٥

ومن هذه الرسالة يتضح أن محمد القصبجى كان قلقاً على نفسه مما قد يتعرض له من خطورة بسبب إجراء العملية ، ولذلك كتب يقول إنه « قد صمم على تسليم نفسه للدكتور الجراح والله المنجى » !!

وفى يوم ٢ ديسمبر ١٩٦٥ زرت القصبجى ، وكان فى حالة شديدة من الحزن ، سألته عن سر حزنه فقال لى وهو يبكى : .

إسمع يا سيدى أم كلثوم قالت لى إستريح فى البيت وأنا أبعت لك أجرتك عن كل حفلة !

فقلت له : وماذا كان ردك ؟

قال : طبعاً مش ممكن أقعد فى البيت .. أنا حافضل أشتغل معاها لغاية ما أموت جنبها على خشبة المسرح .

وكان يتوقع أن أؤيده فى وجهة نظره ، ولكنى آثرت عدم الاشتراك فى مناقشة هذا الموضوع نظراً للحالة النفسية العنيفة التى كان يعانيها ، وغيرت مجرى الحديث .

والواقع أن أم كلثوم كانت على حق فيما عرضته على القصبجى ، فإن صحته لم تعد تساعده على العمل فقد كان فى أواخر أيامه لا يستطيع السير فى الطرقات بمفرده ، لأنه كثيراً ما كانت تنتابه الأزمة ، فكان يصطحب بعض أقاربه فى كل تنقلاته .

وفى اليوم التالى صارحت القصبجى برأيي ، فلم يقتنع ورفض بشدة أن يعتزل العمل مع أم كلثوم وقال لى إنه أهون عليه أن تنتهى حياته ولا يحرم من الجلوس بجوار أم كلثوم على المسرح !! فإنه كان يرى أن أم كلثوم هى كل شيء فى حياته وأنه ليست هناك قوة فى الوجود تستطيع أن تفرق بينهما إلا الموت .... وفعلا فقد استمر يعمل معها إلى آخر يوم من أيامه ..

***

وظل القصبجى متردداً فى إجراء العملية التى أشار عليه بها الجراح ولم يستقر على رأى وراح يقاوم المرض إلى أن فقد النطق فجأة مساء يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ . وجن جنون أسرته ، وارتفعت أصوات النحيب والعويل ، وتحول البيت إلى مأتم ، وكان منظراً مؤلماً يفتت الأكباد ، وكان الوقت ليلا ، وانصرف الأطباء من عياداتهم ، فاتصلوا تليفونياً بأم كلثوم وعبد الوهاب ، يستنجدون بهما لإرسال أحد الأطباء ووصل الدكتور يحيى طاهر والدكتور حلمى غالى ، وقاما بفحص القصبجى فحصاً دقيقاً ، وقررا أنه مصاب بجلطة فى المخ وشلل نصفى أيسر ، ووصفا له العلاج اللازم ، ونصحاه بعدم الحركة .. وعلى الفور قام الأخ الزميل حسن طاهر عضو مجلس إدارة معهد الموسيقى العربية والمستشار القانونى لشركة الحديد والصلب ، بإحضار الدواء ، وأخذ يجوب الأحياء بحثا عن (تمورجى) يتولى إعطاءه الحقن فى مواعيدها وأحضره إلى بيت القصبجى ، وسهر بجانبه الأخ حسن طاهر طوال تلك الليلة ولم يتركه إلا بعد أن أفاق من غيبوبته وبدأ يتكلم .. وتنفس أهل بيته الصعداء ، وعاد إليهم الصواب .

وقال القصبجى إنه بعد هذه الأزمة رأى الموت بعينه ، وإنه قد نجا بمعجزة إلهية وأكد الدكتور يحيى طاهر نفسه هذه الرواية .

وأول ماسأل عنه القصبجى بعد أن أفاق : هل علمت أم كلثوم بحالتى ؟ فقلت له نعم ، وأرسلت إليك الدكتور يحيى طاهر ولم تنقطع لحظة عن الاستفسار عن صحتك تليفونياً .

فقال : وهل تظن أنها ستحضر لزيارتى ؟

قلت : طبعاً إنه لا يفوتها واجب وخاصة بالنسبة لك ياقصب .

قال : ما أظنش !!

وكان القصبجى حقيقة يستبعد أن تزوره أم كلثوم فى هذه الظروف فإن

العلاقات بينهما كانت قد فترت منذ عامين وأضحت العلاقة بينهما علاقة عمل

ولم يكن رحمه الله يدرى سر هذا الفتور ، وكان يسأل نفسه دائماً .. ما الذى أدى إلى هذا التحول المفاجئ ؟ ولكن دون أن يجد جواباً شافياً .
وأحسب أن مرجع هذا الفتور ثلاثة أسباب :

أولا – ساءت صحة القصبجى فى السنوات الأخيرة ، ولم يعد يستطيع حفظ الألحان بدرجة الاتقان التى كان يحفظ بها من قبل .
وكانت أم كلثوم تستحثه على العمل من وقت لآخر بطريقة غير مباشرة لا تؤذى شعوره .

ثانياً – كان دائم الشكوى لبعض زملائه من إهمال أم كلثوم له بسذاجته المعهودة ، ، ولكن يبدو أن واحداً من هؤلاء الزملاء حمل إلى أم كلثوم ألفاظاً محرفة فعز عليها أن تسمع مثل هذه الألفاظ وهى التى تكن له كل تقدير !

ثالثاً – كان القصبجى يصر دائماً على الحصول على أجره كاملا عن الحفلات التى تتبرع بإحيائها أم كلثوم ولا تتقاضى عنها أجراً ، وتقوم بدفع أجور الفرقة من جيبها الخاص .

وفى ظنى أن هذه الأسباب مجتمعة هى التى أدت إلى تحول العلاقات الطيبة بين أم كلثوم والقصبجى إلى شبه جفوة ، ولهذا لم يكن يتصور القصبجى أن أم كلثوم ستزوره وهو مريض .

واتصلت يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٥ تليفونيا بالسيدة أم كلثوم من منزل القصبجى وشرحت لها حالته والصراع النفسى الذى يعيش فيه ، وأكدت لى أنها ستزوره ، وحملت إليه البشرى ، ولكنه لم يصدق وقال لى : «أدى إحنا حانشوف » !

ومضى يوم ١٢ ديسمبر ولم تحضر أم كلثوم لزيارة القصبجى وبذلك تأكد اعتقاده بأنها لن تحضر !!

وفى مساء يوم ١٤ ديسمبر زارت أم كلثوم القصبجى وظلت إلى جوار فراشه ساعة كاملة ، وكان لهذه الزيارة أثرها الواضح على حالته النفسية .

وعلم الدكتور حسين فوزى عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ومقرر لجنة الموسيقى بالمجلس بمرض القصبجى ، فأبدى رغبته فى أن يزوره ، وفى يوم ١٦ ديسمبر توجهت معه لزيارته واستمرت الزيارة أكثر من ساعة لم يسكت أثناءها القصبجى عن الحديث ، فقد كان يروى قصة حياته وكفاحه الفنى ، وكان الدكتور فوزى يحاول أن يثنيه عن الكلام رحمة بصحته ، ولكنه كان يسترسل فى الحديث بانفعال .

وكان القصبجى يهدف من سرد هذه الرواية ، أن يعرفه الدكتور فوزى على حقيقته حتى يكون حافزاً له على أن يرشحه فى لجنة الموسيقى بمجلس الفنون لنيل جائزة الدولة التقديرية ذلك العام ، ولمح الدكتور فوزى علامات الإعياء على وجه القصبجى فاستأذن وانصرفنا .

ولم يعمل القصبجى بنصائح الأطباء ، فإنه لم يستمر طويلا فى اعتكافه وعدم الحركة ، إذ غادر المنزل رغم اعتلال صحته وحضر اجتماع لجنة الموسيقى الذى عقد يوم ٢١ ديسمبر ١٩٦٥ ، وهو الاجتماع الذى كان مقرراً للنظر فى الترشيح للجائزة التقديرية !!

وهنا نرى أن الدافع للقصبجى على حضور هذا الاجتماع أقوى فى نظره من المرض ، وفى سبيله يهون كل شىء !!

ولكنه لسوء الحظ لم يتم الترشيح للجائزة فى هذا الاجتماع لعدم توفر العدد القانونى . وبدت على القصبجى علامات اليأس وعدم الارتياح . فقد كان يتمنى أن يتم ترشيحه فى هذه الجلسة للجائزة ، لأنه كان يشعر بأن نهايته قد قربت ...

وشاء الله أن يحقق رغبة القصبجى — من غير طريق لجنة الموسيقى بمجلس الفنون — إذ اجتمع مجلس إدراة معهد الموسيقى العربية يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٦٥ وقرر بإجماع الآراء ترشيح الأستاذ محمد القصبجى لنيل الجائزة التقديرية وحملت إليه النبأ ، فتهلل وجهه فرحاً .

إلا أن صحف الصباح طلعت علينا فى اليوم التالى تعلن نبأ ترشيح اللجنة الموسيقية العليا بدار الأوبرا للأستاذ محمد عبد الوهاب لهذه الجائزة ، وأخذ القصبجى يندب حظه العاثر ، وأحس أن الأمل الذى كان يراوده ، أصبح بعيد المنال ، وذلك — فى رأيه — لأنه لا يملك من الإمكانات والاتصالات التى يملكها منافسه عبد الوهاب ! !

وفكر القصبجى فى أن يطلب إلى عبد الوهاب أن يتنازل عن ترشيحه له ، بدعوى أنه أحس بنهايته تدنو ، وأنه إذا قدر له أن يعيش عاماً ، فإنه لن يعيش عاماً آخر ، أما عبد الوهاب فإن المجال أمامه فسيح ، لأنه أصغر منه سناً ، وهذا هو السر الذى أراد أن يبوح به القصبجى لعبد الوهاب ، ولكنه مات مدفوناً فى قلبه .

كما كان ينوى القصبجى أن يجمع قواه لإقناع المسئولين بأحقيته فى هذه الجائزة ، ولكن القدر لم يمهله حتى يحقق أمله .

***

ولم تكن « الجائزة التقديرية » هى كل أمنيات القصبجى فى حياته ، فقد كان يتمنى أيضاً أن يضع لحناً لأم كلثوم يجمع بين معانى الحزن والفرح ، والأمل والشوق ، ويصور مختلف الأحاسيس والانفعالات البشرية ، بمصاحبة فرقة كبيرة (أوركسترا كامل) لأن له قوة التعبير والتلوين ، ويفتح المجال للبلاغة الموسيقية والحرية فى التعبير ، ويكون لآلات الفلوت والجيتار والبزق والأكورديون دور فى اللحن ، وكان كلما التقى بأحد مؤلفى الأغانى عرض

عليه هذه الفكرة ، ولكنه لم يجد الكلمات التي توحى إليه بتنفيذ خواطره !!

***

وإن كان الله لم يحقق للقصبجي - فى حياته - كل ما تمنى ، إلا أنه حقق له أن يبقى مع أم كلثوم حتى مماته ، فقد كان رحمه الله يخشى فى السنوات الأخيرة أن يحتل مقعده فى فرقتها الموسيقية عازف آخر على العود . وقد لمح لى أكثر من مرة وأشار بإصبعه إلى الفنان رياض السنباطى ، ولما أكدت له بحكم علاقتى الوثيقة بالسنباطى استبعاد ذلك ، أشار إلى الملحن محمد الموجى ، ولكنى استطعت أن أقنعه بأن أم كلثوم - وهى التى تقدره وتعتز به - لن تفكر بعد هذا العمل الطويل - أن يحل محله أحد ، وقد صح ظنى ، فإن أم كلثوم لم تضم أى عازف على العود إلى فرقتها إلا بعد وفاته بثلاث سنوات ؛ وإن كان ذلك لم يصادف هوى لدى معهد الموسيقى العربية ، مما دعاه إلى إرسال خطاب إلى الفنانة أم كلثوم مؤرخاً فى ١٩٦٦/٦/٨ ، هذا نصه :

« الفنانة الكبيرة السيدة أم كلثوم   عضو شرف المعهد

تحية طيبة وبعد ،

فإن معهد الموسيقى العربية ، يدرك تماماً بكل فخر وتقدير غيرتكم على نهضة موسيقانا الأصيلة ، والمحافظة على طابعها وأسلوبها فى كل ما تقدمونه من ألحان للملايين فى الوطن العربى ، سواء من حيث النظم أو اللحن أو الأداء أو الآلات الموسيقية ، وإن المعهد مطمئن غاية الاطمئنان إلى استمرار هذا الاتجاه العربى ، بفضل ما تؤدونه للفن من رعاية واهتمام . والمعهد يرجو ألا تخلو فرقة سيدة الغناء العربى من الآلة الموسيقية العربية الصميمة التى ظلت تلعب دورها فى جميع أغانيها ، أكثر من أربعين عاماً ، وهى آلة العود ، التى اختفت تقريباً من جميع الفرق الموسيقية ، وهو على يقين من أن خلو الفرقة من هذه الآلة إنما جاء بسبب وفاة الفنان الراحل محمد القصبجى ، مما قد تشعرين معه بصعوبة ملء الفراغ الذى تركه القصبجى ، وإن كنا

على يقين من أن إحساسك الفنى قمين باختيار الأحسن من الموجودين .

وكلنا أمل فى أن تستجيب سيدة الغناء العربى إلى هذا الرجاء ، حتى لا يحرم الفن العربى من إحدى دعاماته القومية ، وحتى لا تنقرض هذه الآلة العربية إذا ما تخليت عنها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير ،

رئيس المعهد

اليوم الأخير في حياة القصبجي

وعندما بزغ فجر يوم الجمعة الموافق ٢٥ مارس ١٩٦٦ ، لم يكن أحد من أفراد أسرة القصبجي الذين يعيشون معه في بيت واحد ، يتوقع أنه سوف يلقى ربه في ذلك اليوم .

كان كل شيء عادياً ، فقد نهض مبكراً كعادته ، وتناول طعام إفطاره ، وقرأ صحف الصباح ، وفي الساعة التاسعة اتصل بي تليفونياً معتذراً عن عدم حضوره اجتماع الجمعية العمومية لمعهد الموسيقى العربية الذى عقد في تلك الأمسية ، وطلب إلى أن أمر عليه عقب الانتهاء من الاجتماع ، ثم تناول غداءه في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وأمضى بقية يومه في الاستماع إلى برامج الإذاعة ، واستقبال بعض أقاربه ، وبعد ذلك طلب العشاء ، ثم اتصل بالزميل حسن طاهر وعرض عليه أن يزوره ، ولكن الوقت كان متأخراً مما لم يتمكن معه من تحقيق رغبته .

وفي الساعة العاشرة مساء ، أحس بالآم في صدره ، وانتابته أزمة قلبية لم تمهله أكثر من عشر دقائق ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة .

***

وكان أفراد أسرته ملتفين حوله ، تملؤهم الفجيعة ، وقد حاروا في ما يفعلون ؟ كيف يذيعون خبر وفاته ؟ .. اتصلوا بأم كلثوم فوقع الخبر عليها كالصاعقة ، واتصلت بدورها بالصحف والإذاعة ، تنعى إليها وفاة زميل وصديق العمر .

وفى الساعة العاشرة والنصف مساء ، دق جرس التليفون فى منزلى ، وكنت قد عدت لتوى من المعهد ، وكان المتحدث الأستاذ حسن طاهر ، الذى استنجدت به أسرة الفقيد ، وقال لى بنبرات كلها أسى :

– البقية فى حياتك ... الأستاذ القصبجى فى ذمة الله .

وأسرعت إلى منزل الفقيد ، لألقى عليه النظرة الأخيرة ، وهو مسجى على فراشه .

وبذلك انتهت حياة الفنان الكبير محمد القصبجى الذى طالما أسعد الملايين بأنغامه وموسيقاه ، وأدخل إلى القلوب البهجة ، وأشاع فى النفوس الأمل والحياة .

***

ثروته

ولاشك أن الجميع تواق لمعرفة مقدار الثروة المالية التى تركها القصبجى بعد وفاته ، ولاشك أيضاً أن عشرات من علامات الاستفهام سوف تبدو أمام الإجابة على هذا السؤال ، فإن محضر وفاته يؤكد أنه لم يترك شيئاً على الإطلاق ، لا مالا ، ولا عقاراً !!

وهذه الحقيقة قد يختلف فى تفسيرها البعض ، وحجتهم فى ذلك أن القصبجى الذى كان لا يفرط فى حياته فى قصاصة ورقة ، وكان إنتاجه يملأ الدنيا ، لا يمكن أن يموت وهو خالى الوفاض ، ولابد أن تكون له أرصدة محترمة فى بعض البنوك ، ومئات الأسهم والسندات .

ولكننا إذا أمعنا النظر ، ودققنا البحث ، نجد أن فترة رواج القصبجى ونشاطه التى تقع فى المدة من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٤٨ ، كانت أجور الملحنين فيها ضئيلة ، سواء فى الإذاعة ، أو فى المسارح ، أو الاسطوانات بالمقارنة إلى السنوات الأخيرة .. ولم يكن أجر الملحن قد بلغ ألفى جنيه ، عن اللحن الواحد ، كما هو اليوم ، فضلا عن أن تعامل الإذاعة معه وكان محدوداً أخذ يتضاءل فى الفترة الأخيرة ، حتى انعدم ، أما ألحانه فى التليفزيون فلا يتجاوز عددها الثلاثة .

***

على أننا نعترف أن ألحانه فى الأفلام السينمائية ، هى التى درت عليه إيراداً استطاع أن يستغله فى شراء بيتين ، عاش فيهما هو وأخواته الأرامل الثلاث ، وقد تبرع بنصيبه فيهما لزوجته (توحيده) . أما زوجته (هدى) فإنه

لم يخصها بشيء ، لأنه كان يعتقد أنها قد قاربت على نهاية الحياة ، بسبب مرضها وليس لها وارث !!

***

وإن كان القصبجى لم يترك مالا أو عقاراً إلا أنه ترك مكتبة ثقافية تزخر بمئات الكتب والمراجع والمخطوطات القديمة ، لافى علوم الموسيقى فحسب ، بل وفى مختلف فروع الثقافة والمعرفة ، فى الأدب والشعر ، والدين والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والسياسة والفلك والطب والهندسة والكهرباء والعمارة واللاسلكى .

كما تضم أيضاً كتبه الدراسية التى كان يتلقى فيها العلم فى جميع مراحل حياته التعليمية ، وبعض الآيات القرآنية التى كان يكتبها بنفسه ، منها ما هو بالخط النسخ وبالخط الثلث وبالخط الديوانى ، فضلا عن عشرات الصور الفوتوغرافية التى تمثل مراحل حياته المختلفة وصور الكثيرين من أهل الفن ..

ومن أهم الكتب الموسيقية التى يقتنيها :

(سفينة شهاب) للسيد محمد بن إسماعيل بن شهاب الدين المتوفى عام ١٨٠٧ التى تضم مئات الموشحات المتنوعة الأنغام والأوزان والقوافى .

ومؤلفات محمد (بك) ذاكر الموسيقية ومؤلفات أستاذه كامل الخلعى ، ومجموعة ضخمة من البشارف والسماعيات التركية والمجلات الموسيقية مثل (روضة البلابل) لاسكندر شلفون .

والغريب أن القصبجى وضع فى حياته كتاباً لتعليم آلة العود (ميتود) ولكنه لم يعلن عن هذا العمل الخالد الذى قام به ، فى الوقت الذى تفتقر فيه موسيقانا إلى مثل هذه المناهج العلمية للآلات الموسيقية العربية وقد وجدت أصول هذا (الميتود) فى أحد أركان مكتبته . وإنى أرجو أن نجد هذا المؤلف العلمى طريقه إلى النور حتى تفيد منه الأجيال المتعاقبة .

وأهم ما يسترعى النظر فى محتويات مكتبة القصبجى ، احتفاظ كل كتاب

فيها بجدته ، برغم عمره الطويل ، وكأن أحداً لم يمسس كتاباً منها ، فقد كان رحمه الله يستعمل كل شىء بحرص وعناية ، ولا يسمح لأحد باستعارة أى كتاب خوفاً عليه من التلف .

وفى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت ٢٦ مارس ١٩٦٦ شيعت جنازة الفقيد إلى مثواه الأخير حيث دفن بمقبرته بالإمام الشافعى .

وفى يوم ٣ مايو ١٩٦٦ أقام معهد الموسيقى العربية حفل تأبين بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته اشترك فيه مندوبون عن الهيئات والأجهزة الفنية التى شارك الفقيد فى العمل على تحقيق أهدافها ورسالاتها .

وقد استهل الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم من الشيخ مصطفى إسماعيل ، ثم ألقى الأستاذ أحمد شفيق أبو عوف رئيس معهد الموسيقى العربية كلمة المعهد ، وألقى الدكتور حسين فوزى كلمة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وألقى الأستاذ فريد الأطرش كلمة جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين ، وألقت الدكتورة سمحة الخولى كلمة المعهد القومى العالى للموسيقى (الكونسرفاتوار) وألقى الأستاذ خليل المصرى كلمة جمعية أصدقاء موسيقى سيد درويش ، وألقت السيدة بثينة فريد كلمة الجمعية المصرية لهواة الموسيقى ، وألقى الأستاذ محمد محمود فهمى كلمة نقابة المهن الموسيقية ، وقمت بإلقاء كلمة اللجنة الموسيقية العليا .

وكان للشعر نصيبه فى تأبين الفقيد العزيز ، اضطلع به شاعر الشباب أحمد رامى ، والزميلان مصطفى على نصر ومصطفى على عبد الرحمن ثم ألقى الأستاذ حسين الصفتى — ابن أخت المرحوم القصبجى — كلمة شكر نيابة عن الأسرة ، واختتم الحفل بفاصل من مؤلفات القصبجى قدمته الفرقة الماسية بقيادة الأستاذ أحمد فؤاد حسن (الوكيل الفنى للمعهد) عزفت فيه (سماعى راست) و (ذكرياتى) وهما من المعزوفات التى كانت تستهل بها حفلات السيدة أم كلثوم الغنائية منذ أكثر من ثلاثين عاماً .

وقد حضر هذا الحفل عدد كبير من الفنانين والموسيقيين فى مقدمتهم السيدة أم كلثوم ، كما أناب الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة – وقتذاك – الدكتور عز الدين فريد وكيل الوزارة .

وكان يسود الحفل جو من الرهبة والجلال ، وضاق معهد الموسيقى العربية على سعته بالحاضرين

وأرسل الأستاذ محمد عبد الوهاب البرقية التالية يعتذر فيها عن عدم الحضور :

« أقعدنى المرض عن الاشتراك فى ذكرى الأربعين لفقيد الموسيقى الموسيقار محمد القصبجى رحمه الله بقدر ما أعطى من فنه وروحه للغناء العربى من خدمات باقية وجهود رائدة لنا وخالدة للفن على مر الزمان . »

الكلمات
التى ألقيت فى حفل تأبينه

كلمة معهد الموسيقى العربية
للأستاذ أحمد شفيق أبو عوف رئيس المعهد

سيداتى وسادتى :

نجتمع اليوم فى هذا الحفل المهيب ، لنذكر ضوءا خفت بعد أن بهر العيون ، وصوتاً خمد بعد أن ملأ الأسماع .

اجتمعنا لنتحدث عن فنان رحل عنا ، بعد أن روى تربة هذه البقعة من الأرض التى كاد يخنقها الجدب الفنى ، فأشبعها من روى روحه ، فصير القفر أخضر ظليلا يحمل بين كنفه أجمل الأثر وملأ الدنيا بأريج عطر أخاذ ، جعل النفس ترتع فى أخيلة عذبة وتنعم بما يبهر الحس والوجدان :

رحل عنا الفنان الذى كان يمشى على الأرض وهنا على وهن ، فكنت تخاله حطاماً بشرياً يخضع فى استسلام واستكانة إلى ما يفعله به خضم الحياة العاتية القاسية . ورحم الله القصبجى فقد ضعف جسده حيث عجز تماماً عن أن تتقمصه الروح الماردة الجبارة التى أسعدت الملايين ، وسوف تظل تسعد الملايين ما دامت الحياة تدب فى هذه الأرض .

سيداتى وسادتى

مات القصبجى ،والناس ما بين مصدق ومكذب ، فكيف مات القصبجى وكنا نسمعه بالأمس ، ونسمعه اليوم ، وسوف نسمعه غداً ، كيف مات

القصبجى ، ونحن لا زلنا نحيا ، وسوف نظل نحيا بما صاغته روحه من ألحان خالدة ، كيف مات القصبجى ، ولا زالت الصحف والمجلات والإذاعات تردد اسمه ، فى كل ساعة وفى كل يوم ؟

سيداتى وسادتى ،

لم يمت القصبجى ، ولكن غاب جسده ، ونحمد الله أن بقيت معنا روحه ننعم بها ، وتنعم بنا ، ونسبح جميعاً فى آفاق عالية من السمو والرفعة ، ونحلق ونرفرف فى زهو ما يشاء الله أن نحلق ونرفرف .

نشأ القصبجى لتعلم الدين ، وما كان يعلم أن القدر يخبىء له مصيراً محتوماً ، أن يكون مبدعاً خلاقاً فى المجال الموسيقى ، وشب فى صراع عات جبار ، بين الوجهة التى أرادها له ذووه ، وبين الوجهة التى تجرفه فيها موهبته التى كانت تسرى فى كل قطرة من دمائه ، وانتصرت الموهبة الجارفة على إرادة الوالدين ، وتلفت يمنة ثم يسرة عله يجد معيناً علمياً ليصقل موهبته الفنية ، فلم يجد مدرسة يتعلم فيها الفن الموسيقى ، ولم يجد أيضاً مدرباً ذا كفاءة يعلمه أصول وقواعد هذا الفن ، يرغم ذلك لم يتطرق إليه اليأس ، فاعتمد على الله وعلى مثابرته وعلى تحصيله الخاص ، حتى استطاع أن يلم إلماماً قدر جهوده بأصول التأليف الموسيقى ، وبدأ يضع الألحان ، لحناً إثر لحن ، فإذا الناس يرددون ما صنعته يداه ، وإذا الناس ينعمون بفن جديد فيه أصالة ، وفيه عمق ، وفيه حس ، وفيه صدق ، واشتهر الشيخ الصاعد بصنع الألحان المبتكرة ، وصاغها فى معظم قوالب الموسيقى العربية ، كالأغنية الفردية ، والأغنية الجماعية ، والمسرحية الغنائية ، والقصيدة الطويلة ، والقصيدة القصيرة ، والموال والدور ، والطقطوقة ، والموسيقى الآلية ، الانفرادية والجماعية .

وهكذا أخذ يبدع ويبدع ، حتى تعدت ألحانه ألف لحن ، توجها بالدرر التى غنتها سيدة الغناء العربى .

وسوف تعيش هذه الألحان ألف عام أو يزيد ، حيث انها ألحان انتقالية من طور موسيقى إلى طور آخر جديد ، حيث نلمس فى الجمل الموسيقية التى كان يبدعها القصبجى ذوقاً جديداً وشاعرية لم نكن نعهدها فى الألحان التى سبقت ظهوره ، كما نلمس استخداماً متطوراً وحديثاً للآلات الموسيقية الشرقية والغربية لم يكن معروفاً من قبله ، وهكذا عاش القصبجى وانتقل عنا جسده وبقيت روحه ، وبقيت آثاره الخالدة ما بقى الزمان .

وإنى أشكر سيادتكم لتفضلكم بحضور هذا الحفل ، وبهذه المناسبة قام المعهد بتشكيل لجنة لإحياء ذكرى المرحوم القصبجى ، واقترحت هذه اللجنة التوصية لدى جميع المحافظات بالجمهورية بإطلاق اسمه على بعض الشوارع فى المحافظات ، كما رأت إصدار كتاب يتناول حياته وأعماله ، وأخيراً إقامة تمثال نصفى للفقيد يوضع فى دار الأوبرا ، ونسأل الله أن يعوضنا عن الفقيد خيراً .

كلمة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
والعلوم الاجتماعية

للأستاذ الدكتور حسين فوزي
عضو المجلس الأعلى ومقرر لجنة الموسيقى

سيدتى أم كلثوم ، سيداتى ، سادتى :

عندما فكرت اليوم . بما أتحدث به عن مآثر الفقيد العظيم ، استعرضت موقفاً لى فى شبابى منذ نيف وأربعين عاماً ، وهى آخر مرة وقفت أؤبن مؤرخاً موسيقياً ، وكان الشيخ سيد درويش ، نعم لقد جاءت الفرص التى كتبت فيها ، ولكنى لم أقف لتأبين موسيقى إلا اليوم منذ نيف وأربعين عاماً ، عندما وقفت أؤبن فى شبابى المرحوم الشيخ سيد درويش ، ولقد فكرت فيما فكرت بأننا عندما نعزى فى رجل عظيم هو أن نذكر أبناء ورجال الفن ، أبناء محمد القصبجى ، أن نذكرهم بأنه حى فيهم ، لأن معنى هذه الاحتفالات ليست مجرد الأحاديث والخطب ، بل يجب أن يعيش محمد القصبجى فى قلوبنا ، وفى حياتنا العامة ، لأن محمد القصبجى دور من أدوار التطور الفنى فى هذا البلد .

إننى أستعرض أيضاً ذلك التاريخ الطويل ، من عرفت ومن لم أعرف ، أستعرض أبو خليل القبانى ، أستعرض محمد عثمان ، الشيخ سلامه حجازى سيد درويش، داود حسنى ، كامل الخلعى ، زكريا أحمد ، إبراهيم شفيق ، محمد القصبجى ، هذه الأجيال تتوالى ، وتحمل الشعلة ، شعلة الفن الجميل ، وأكاد أخشى أن يكون اختفاء الفقيد محمد القصبجى نهاية عهد ، عهد طويل فى الموسيقى الشرقية ، يميزه شيئان ، إن رجل الفن يجمع أيضاً فى ذاته

وفى حياته ، وفى تعليمه رجل العلم ، كل من حدثتكم عنهم ، كل هؤلاء الأفذاذ ، كانوا علماء بفن الموسيقى العربية ، الفن هبة ، هبة من السماء ، ولكنها تنمى بالتعليم ، والموسيقى الشرقية ليست من الموسيقات السهلة ، إنها موسيقى ذات تاريخ طويل ، ومقامات وضروب وأوزان ، وطرائق فى الغناء وفى الترتيل ، وعلاقات بين الدين والدنيا ، ألم تلاحظوا أن كثيراً من أهل الفن ، نشأوا فى الأزهر ؟ ، ألم تلاحظوا أن بداياتهم كانت حفظ القرآن ، وأنهم من القرآن انتقلوا إلى ما كان يعرف بالتواشيح الدينية ، أو الابتهالات ، واشتركوا فى الأذكار فهذه العلاقات العميقة فى صميم الدنيا ، وفى صميم الدين ، هى التى خلقت الفنان ، كما جاء هبة من الله سبحانه وتعالى ، إنما يلاحظ فى كل هؤلاء الفنانين أنهم درجوا على التعمق فى فنهم ، فى فهمهم الفهم العلمى .

ومحمد القصبجى كان من أولئك العلماء ، لم أعرفه طويلا ، ولكن جلساتى القليلة معه كانت ذات معنى طويل عميق ، فى الجلسة الأخيرة قبل سفرى إلى الخارج ببضعة أشهر ، كان مريضاً فذهبت لأودعه ، وأنا مشفق عليه ، ظاناً بأنى سأبقى بضع دقائق ، وإذا بالحديث يطول ، وإذا بالفقيد يتحمس وينهض من فراشه ، ويحدثنى عن ذكرياته ، وعما صنع وعما يريد أن يصنع ، وعن مستقبل الموسيقى الشرقية ، وكيف يكون ، وأنا أشفق عليه . أنا لازم أروح يا أستاذ قصبجى .. إنت حتتعب نفسك خليك ... أبداً .: عاد إلى نشاطه وهو فى سريره ، ثم فى يومين أو فى اليوم التالى ، رأيته آتياً إلينا بلجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، كما هو هادئ ، مبتسم ، بارح النفس ، مفتح الروح إلى الحياة ، وكانت مناقشاتى معه عن كيف تتطور موسيقى العرب ، وكان أعجب شىء ألاحظه ، كما لاحظت فى المرحوم زكريا أحمد ، أن الطريق الجديد يجب أن يكون جديداً دائماً .. يارتنا كنا شباب فى هذا ا الزمان ، وكنا أيضاً نضيف إلى ما تعلمناه من الموسيقى الشرقية ، أن نتعلم أيضاً من موسيقات الحضارة ، دى حاجة عجيبة جداً .. — لاحظتها

فى داود حسنى ، لاحظتها فى سيد درويش، وفى كامل الخلعى، وفى القصبجى ، وفى إبراهيم شفيق وفى زكريا أحمد .

أقول هذا لأنى أكره أن يحارب الأحياء الأموات ، أقول هذا لأن من واجبنا أن نذكر دائماً محمد القصبجى وما صنع فى حياته الطويلة من خير ومن فن نريد أن يحيا ، وهو موجود ، فهو حى ، والاسطوانات موجودة ، ولكن هناك شيئاً أيضاً أهم من ذلك ، أن تعنى الإذاعة والتلفزيون دائماً بأن تسمعنا محمد القصبجى ، ولقد أثلج صدرى وأنا أستمع إلى أخى وصديقى أحمد شفيق أبو عوف ، فى هذه اللحظة، بما أعتزم أن يصنع لمحمد القصبجى، لكنى أحب أن أنبهكم إلى أن الفنان لا يعيش بتمثال ، ولا يعيش باسم شارع ، وإنما يعيش بأن نعيش فيه ، وأن يسمعه الناس . وقد يظن البعض أننا نتجه اتجاهات بعيدة عن موسيقى الشرق، لا مجرد حفلة ، ولا مجرد يوم فى السنة ، بل أحب أن يوضع قسط فى برامج الإذاعة والتلفيزيون باستمرار لتشجيع الموسيقى القديمة لأن الإنسان لا يحيا كما قلت إلا بتاريخه ، وان الأموات يحيون فينا .. وما معنى أن يحيا الفنان فينا ، هو أن يعيش فى فنه ، ليست الموسيقى مع الأسف فى الشرق كتاباً يقرأ ، وحتى فى الغرب وهى كتب تقرأ ، لا أستطيع أن أقول بأنى أطالع المدونة الموسيقية لأنى أيضاً أريد أن أسمع المدونة، صحيح وأنا أطالع المدونة الموسيقية أسمعها فى خيالى ، ولكنى أريد للموسيقى الشرقية أن أسمعها ، فأرجو أن يكون ، أو أرجو أن أضيف إلى ما قاله أحمد شفيق أبو عوف ، أن يكون معنى هذا الحفل ، أن تعنى الإذاعة والتليفزيون بإحياء — لا مجرد الاحياء السنوى — ألحان محمد القصبجى وسلسلة الأفذاذ الذين حدثتكم عنهم .

وفى النهاية أقدم للسيدة كوكب الشرق أم كلثوم أولا على رأس رجال الفن الشرقى فى البلاد العربية ، أقدم إليها شخصياً تعزيتى لأننى عليم بما كان لها فى حياة الفقيد ، عليم بما لها الآن فى موت الفقيد ، وأقدم العزاء إلى كل فنان يمارس، أو فنان هاو، أو مجرد محب للفن ، يستمع لموسيقى محمد القصبجى .

قصيدة الشاعر أحمد رامى

(زميل الطرب)

عاشرته خمسين عـــام مرت كأحلام النيـــام

خطرت كأطياف الـــرؤى وسرت كأسراب الغمـــام

وتراوحت أيامهـــــا ما بين دمع وابتســـام

نستاف(١) من روض الصبـــا ماافتر من ثغـــر الكمـــام

حسنا يحيينـــا بطلعتـــه فنسعـــد بالســـــلام

ومتى تناجينـــا فيحلوبيننا همس الكـــــلام

نختـــال فى مغـــدى(٢) الهـــوى ونعب من كأس الغرام

ونهيم ما بين الخمايل مثل أزواج اليمـــــام

أشكو فينظم شكـــوتى باللحن عقدا فى نظـــام

نغما يشف عن الصبابة فى فـــؤاد المستهمـــام

ويرف فى سمع النسائم مثل أجنحة الحمـــام

ويمـــوج فى جـــو الشجى ما بين لطف وانسجـــام

نغما يخف إليـــــك فى الآصال من وادى السلام

يا صاحبى إن كان فرقنا الزمان فـــلا انفصـــــــام

مازلت فى سمعى حنينـــا يستخف إلى الهيـــــام

أصغى إلى ما أبـــدعت يمنـــاك من حلـــو المقـــام

فأراك تنثر بيننــــا نغما كأنفاس المـــــدام

يجلو عن النفس الصـــــدا ويرد للعين المنـــــام

إن جف عودك فالعبير يموج مابين الاكـــــام(٣)

أوغاب صوتك فالرنين يجول فى سمع الأنـــام

فاهدأ فما غاب الـــذى يحيا بآثار كـــــرام

العمر يمضى غير أن الذكر فى حسن الختـــــام

---

(١) نشم (٢) السبيل (٣) التلالل .

كلمة جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين
للأستاذ فريد الأطرش رئيس الجمعية

سيداتى وسادتى :

حينما نفتقد صديقاً، فإننا نفتقد صداقته، ولكننا حينما نفقد محمد القصبجى نفتقد ثلاثة أعزاء .. نفتقد الصديق الذى عرفناه منذ نشأتنا، لمسنا لطفه ورقته .. ونفتقد الزميل الذي عشنا معه فى دنيا النغم طوال هذه السنوات .. ثم نفتقد الأستاذ الذى كان بذاته مدرسة شامخة فى عالم الفن .. مدرسة تخرجت فيها أجيال من أهل الفن، وأسعدت ملايين القلوب، ونورت ليالى الشرق، ووهبت للبلد أعلاماً اغتنت بهم دنيا الغناء، واستحدثت ثورة فى عالم النغم .. ثورة قامت على أشرف أسس الموسيقى، وسيسجل التاريخ للقصبجى أنه واحد من قلة نادرة، حفظت على الموسيقى العربية تراثها، وجددت روحها، وأبرزت نواحى الجمال فيها .

هذه الثورة هى أبرز صفحات الفقيد، فهى دفاع كريم عن الموسيقى العربية أمام مزاعم الذين يتهمونها بالجمود، فقد أذاب القصبجى من حولها ثلوج الكسالى، ونقل الغناء العربى لأول مرة فى التاريخ من التخت إلى الأوركسترا، وأدخل على موسيقانا آلات جديدة لم يكن لنا عهد بها، كل ذلك دون أن يخرج عن الروح الأصيلة لهذه الموسيقى العريقة الساحرة .. وهذا هو التجديد الذى نريده ونؤيده ونؤمن به .

وحسبنا أن القصبجى كان — بعد المرحوم الشيخ أبو العلا — أول أستاذ لموهبة الشرق الأولى أم كلثوم، وحسبنا أن نعترف جميعاً بأنه ما من واحد منا إلا أفاد من فنه، وتتلمذ على يديه، وتأثر بمدرسته .

فباسمى ، وأنا أشرف نفسى وأشرف ذكرى شقيقتى الراحلة أسمهان ، حين أقول إنه كان يرعانا ويعلمنا ويوجهنا فى أول الشباب . وباسم زملائى المؤلفين والملحنين ، الذين شرفونى بأن أكون خادماً لجمعيتهم ، والذين سعدوا بفن القصبجى وصداقته وأستاذيته .

أضرع إلى الله أن يلهمنا فيه جميل العزاء ، وأن تبقى ذكراه فى قلوبنا وفى قلوب الأجيال الآتية بعدنا ، هدياً إلى سبيل الفن الرفيع ، وصيحة تدعونا إلى الحفاظ على أصالة موسيقانا والمضى فى طريق تجديدها وتلوينها دون أن نتمرد على إطارها أو نخون أمانتها .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة المعهد القومى العالى للموسيقى (الكونسرفاتوار)
للأستاذة الدكتورة سمحه الخولى

منذ عشرين عاماً أو أكثر ، أتيح لى أن أجلس فى الفصل إلى المرحوم الأستاذ محمد القصبجى طالبة بين طالبات كثيرات ، رأت إدارة معهد معلمات الموسيقى ، أن تكمل ثقافتهن الفنية بأن تتيح لهن الاتصال بمنابع الموسيقى العربية ، ومن هنا ظهر القصبجى فى أفق التعليم الموسيقى ، أستاذاً وممثلا طيباً للفنان الشرقى الأصيل المتمكن .

لم يكن عليه أن يعلم الطالبات منهجاً محدداً ، أو يلقنهن ألحاناً بعينها ، ولكن وجوده فى جو دراستنا كان نموذجاً ، ومثلا ، ورمزاً .

كان القصبجى رحمه الله — أمامنا نموذجاً للملحن الذى استبطن الموسيقى العربية والشرقية وتمثلها تمثلا عميقاً وكرس حياته للتوسع بطاقاتها التعبيرية ، داخل إطارها الخاص .. وكان أمامنا مثلا للفنان الشرقى المتفتح الذى أبى أن يمارس فنه فى القرن العشرين بأسلوب الحفظة والرواة ، ولم يكتف بطريقة التواتر الشفوى فى نقل ونشر ألحانه ، وكم ازداد احترامنا له عندما شهدنا السهولة التامة التى كان — رحمه الله — يمارس بها التدوين الموسيقى لكل ما يعزفه ويبتكره من ألحان ، وهى خبرة نادرة بين أنداده ومعاصريه . أما عزفه للعود فقد كان بالنسبة لنا نموذجاً مثالياً بل قدوة ، نصبو جميعاً للوصول إلى بعض ما بهرنا فيه من سرعة بريق ومهارة فائقة .

أما الرمز فهو فى اعتقادى أهم وأخطر من كل هذا ، لقد أرادت مديرتنا الألمانية عندئذ أن ترسى جذور ثقافتنا الموسيقية فى أرض تراثنا ، وأن توازن بين الجانب الغربى العالمى فى الدراسة الموسيقية ، وبين الجانب الشرقى

المحلى – لكى تحمينا من الانسلاخ عن بيئتنا وتدفعنا إلى البحث عن نوع من التوفيق أو الحل الوسط لمشكلة الإزدواج الموسيقى التى نعايشها ، مابين التراث المحلى من جانب ، والتراث الموسيقى الإنسانى من جانب آخر ، ولشد ما وفقت فى اختيارها للقصبجى – رحمه الله – فبدا لنا رمزاً يمثل دعامة من دعامات الموسيقى الموروثة ، وفناناً موهوباً مبتكراً ، امتلك ناصية تلك الموسيقى ومارسها وعايشها بفكر متحرر وعقل متفتح وأمانة فنية وروح أصيلة .

أجل ، هذا هو الرمز الذى مثله المرحوم القصبجى أمام الشباب الذى كان ينهل من منابع الموسيقى الغربية بنهم .

وأشهد أن هذا الرمز القيم – محمد القصبجى – قد ترك أثره البعيد فى تفكير ذلك الشباب وفى تكوينه الموسيقى. لقد كنا نشعر باحترام كبير للموسيقى العربية فى شخصه ، وكان وجوده فى أفق دراساتنا يربطنا بها ارتباطاً حياً متصلا ، لا كدرس مفروض مقرر ، ولكن كفن قيم له تقاليده العريقة ، وقيمه الجمالية الخاصة به ، وكجزء من تراثنا وكياننا المعنوى، علينا أن نستنبط منه دعائم المستقبل الموسيقى المأمول .

ولقد امتد الأثر البعيد لذلك الرمز – الذى مثله القصبجى فى تنشئة ذلك الجيل – امتد إلى المعهد القومى العالى للموسيقى ، أحدث المعاهد الموسيقية فى بلادنا – باعتباره حلقة جديدة فى مراحل التطور الموسيقى ، ومحاولة لتأصيل العلم والدرس الموسيقى الجاد ، للموسيقى محلية وعالمية فى سبيل تحقيق نهضة موسيقية شاملة ، تضرب جذورها فى أعماق البيئة ، وفى صلب التراث، وترتفع نحو الآفاق الإنسانية العليا. وعندما يأتى اليوم الذى يتحقق فيه فى المستقبل هذا الأمل المشرق – لنهضة موسيقية حقيقية ، عندما يأتى هذا اليوم سيكون القصبجى ملحناً ومعلماً ، فضله الذى لن ينسى بين زملائه ، ممن عملوا على إبقاء جذوة الموسيقى العربية مضيئة ، وتبليغ الأمانة إلى الأجيال التالية وستحتفظ له ذاكرة تلك الأجيال ، بل وذاكرة تاريخ النهضة الموسيقية فى بلادنا ، بكل الاحترام والتقدير الذى استحقه بشرف وجدارة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة جمعية أصدقاء موسيقى سيد درويش

للأستاذ خليل المصرى

باسم جمعية أصدقاء موسيقى سيد درويش ننعى عضواً من أعضائها المؤسسين لها : الأستاذ الموسيقار محمد القصبجى .

إن من سوء حظ الموسيقى المصرية المتطورة أن المرحوم القصبجى قد اتجه صوب الأغنية الفردية ولم يكرس موهبته للتلحين المسرحى .

فلو كانت الظروف قد أتاحت له التلحين للمسرح لكان القصبجى رحمه الله خير خلف لسيد درويش. فقد بدأ بدايات موفقة فى تلحين بضعة أوبريتات للسيدة منيرة المهدية ظهرت من خلال ألحانها نزعته الموسيقية المسرحية الخلاقة :

ولكن ماكان للأستاذ القصبجى أن يتجه للمسرح بعد أن احتضر فى أواخر عشرينات هذا القرن وورى التراب بعد أن اذدهر فى الفترة من ١٩١٨—١٩٢٣

كان القصبجى متطوراً فى كل أعماله لا يكاد ينتهى من فكرة جديدة حتى يفكر فى لون آخر ينفرد به عن معاصريه فصارت ألحانه لغيره يتأثر بها الكثيرون من ملحنى هذا العصر .

ومما يذكر بالحمد لفقيدنا الراحل أنه لم يبتذل فى ألحانه إطلاقاً بل إن كل أعماله تعد مثلا للفن الغنائى الرفيع .

ابتكر نوعاً جديداً فى الغناء وجدفيه متنفساً لروحه المسرحية وهو المونولوج الذى ابتعد به عن أعمال التخت التى كانت مسيطرة فى زمانه كما وجدت موهبته هذه مجالا فسيحاً فى الألحان التى وضعها للأفلام السينمائية .

إنه لمن العسير علينا أن نقول : كان القصبجي وأن نعدد محاسنه ومحامده ،
فالقصبجي ما زال كائناً حيا بيننا نعيش فى أنغامه وننهل من تجديداته
ونستلهم عبقريته فى ألحاننا المعاصرة . بل لعل القصبجي حاضرا بيننا الآن
يناقشنا بعصبيته اللطيفة وروحه المرحة فى مشاكلنا الفنية كما تعودنا منه إلى
وقت قريب ،

رحم الله القصبجي وجزاه عما أسداه للفن طوال خمسين عاماً خير الجزاء.

***

ثم القى الأستاذ خليل المصرى الزجل التالى :

محمد القصبجى

(إن كنت اسامح) أقول دلوقتى فيه ألحان
أصل القصبجى النغـــم واللحن والأوزان
من يوم ما قال (إن حالى فى هواها عجب)
(رق الحبيب) اللى كان غايب بقاله زمـان

* * *

(ياللى ودادى صفالك) قبل ما أشوفك
(عنيه فيها الدموع) مش شايفه غير طيفك
(ياغائبا عن عيونى) إنمــا ف قلبى
(ياللى صنعت الجميـل) ليه ننسى معروفك

* * *

(ياللى جفاك المنـام) النوم سكن فى عينيك
(يا ما ناديت من أسايا) وقلبى رد عليك
(يا طير يا عايش أسير) حاتغنى فى الجنـة
(يا ريتنى كنت النسيم) اللى يطوف حـواليك

* * *

(ياللى رعيت العهود) ياريت نصـون عهدك
(ياعشرة الماضى) كله مين لنا بعــدك
(يا مجـد ياما اشتهيتك) قلتهـا غنـوه
المجـد جالك بيجرى وقال أنـا عبـدك

* * *

(منيت شبابى) ألاقى صديقى وزميـــــــلى
أعيد معاه (ذكرياتى) وليـــل مواويـــــلى
دلوقتى بانعى الصديق والأخ والأستــــــاذ
(حيرانه ليه يادموعى) إنزلى وسيــــــلى
أستاذ وسيـــد النغم ياخالق المونولــــوج
يا بحر هادى ولطيف مافهش صـــد المـــوج
الكل يورد عليـــك يتعلموا منــــــك
قاعدين فى آخـــر الكراسى وانت فوق فى اللوج

***

مين جنب عود القصبجى يقـــول أنا عـــواد
الريشه منـــه تطير شله م الـــــــــرواد
واللازمه منـــه يحير عزفهــــا فرقـــة
واللحن منه بيصبح كعبـــة للقصـــاد

***

كان طيب القلب لا يخاصم ولا يعـــــادى
وكان يشجع خلافه مهما كان عـــــادى
وكفاية إنه نكر نفـــــه وساب غـــيره
ينقل عواطفـــه وشعـــوره لبلبله الشـــادى

***

يا معهد الفن اوعى بكـــره تستكــــنى
إنك نعيت القصبجى عندما اتـــوفى
واجب عليك تنصفـــه وتقيم هنـــا تمثـــال
وتمشى مركب فنونـــه وتمسك الدفـــــة

***

ألحانه دي مدرسه حاتقوى طلابـــــــــك
وتلاقى كل الشبـــاب واقفين على بابـــك
والصاله دى يا شفيق عايز تخلـــــــــدها
سميها باسم القصبجى ترضى أحبابـــــك

***

من كلمة اللجنة الموسيقية العليا

للأستاذ محمود كامل

لم أحزن فى حياتى لشىء .. قدر حزنى لوفاة الموسيقار الكبير محمد القصبجى ، وحرمانى من شخصيته الفذة التى لا تعوض .

فإن صلتى به ترجع إلى أكثر من عشرين عاماً ، وكانت روابط الصداقة والأخوة والمحبة تتزايد بيننا يوماً بعد يوم ، حتى تكشفت لى جوانبه المضيئة التى لم يصل بصيص نورها إلى الكثيرين من الناس .

عرفت القصبجى إنساناً وفياً ورقيقاً ، مجاملا باراً بأهله وذويه ، لا يحمل حقداً أو ضغينة لأحد ، حتى أولئك الذين كانوا يوقعون به ، كان يعاملهم بالحسنى . كانت سياسته التى لم يحد عنها الصبر على تحمل المكاره والأسى .

عرفته عالماً .. ليس فى فن الموسيقى فحسب ، وإنما فى كل فرع من فروع الحياة والمعرفة فى السياسة .. فى الأدب .. فى الدين .

وعرفته فناناً عملاقاً أصيلا ، ورائداً من الرواد الذين سيخلد التاريخ أسماءهم ، وستظل ذكراهم عاطرة باقية على مر الزمن .

لقد كان القصبجى قمة فى فنه .. وتتمثل عظمته الفنية فى تفكيره الموسيقى المتطور ، وإبداعه وتجديداته وابتكاراته التى لا أول لها ولا آخر .

لحن الموشح والدور والطقطوقة والقصيدة والمنولوج والأوبرا والأوبريت ، وعالج بذلك جميع القوالب الغنائية العربية ، فكان مجيداً ، راسخ القدم .

كانت محاولاته الفنية ، الانطلاقة الأولى التى يبدأ منها الزحف . وهذه سمة من سمات الرواد والقمم .. عندما جدد وأبدع فى منلوج (إن كنت أسامح وأنسى الأسية) التى غنته سيدة الغناء العربى أم كلثوم ، شمر الملحنون

عن سواعدهم ، وقدموا عشرات المنلوجات الغنائية، وعندما انطلق بموسيقانا من نطاق التطريب إلى آفاق التعبير فى ألحـــانه ، « ياطيور » لأسمهان « ومنيت شبابى » و « ياللى صنعت الجميل » و« يا مجد ياما اشتهيتك » ، و« فين العيون اللى سبتنى » للسيدة أم كلثوم ، اتجه أهل التلحين إلى مجال التعبير الموسيقى فى إنتاجهم .

وعندما طلع علينا بتحفته الرائعة (رق الحبيب) توالت الصور الغنائية واحتلت مكان الصدارة فى مجال التأليف الغنائى . .

ولم يكن القصبجى ضنيناً بفنه على الهيئات العديدة التى كان ينتسب إليها ، بل على العكس .. كان غيوراً على تحقيق رسالاتها .. ومن هذه الهيئات اللجنة الموسيقية العليا التى أتشرف بالتحدث باسمها هذه الليلة .

لقد كان القصبجى من أقطاب الموسيقى الذين شكلت من بينهم اللجنة الموسيقية العليا فى مطلع ثورة ٢٣ يوليو المباركة وصدر تشكيلها فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٢،وكانت جهوده الموفقة وآراؤه الصائبة عاملا من عوامل نجاحها .

كان القصبجى من أوائل الفنانين الذين تطوعوا لتلحين الأناشيد الفائزة فى المسابقة التى نظمتها اللجنة عام ١٩٥٤ ، فلحن نشيداً مطلعه :

أنا الجندى فى ميـــــــدانى   وهبت الـــروح لأوطانى

وكان نشيداً بالغ الحماسة والقوة .

ولعل من مصادفات القدر أن تمر أربعون يوماً على وفاة القصبجى فى اليوم الذى تمر أربعة أعوام على وفاة المطرب الكبير صالح عبد الحى .. فقد توفى صالح عبد الحى فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٦٢ .

ويبدو أن المصادفة لم تأت عفواً ، فقد كان اسم صالح عبد الحى مقترناً باسم محمد القصبجى فترة طويلة ، إذ غنى صالح عبد الحى عدة ألحان للقصبجى ، أذكر منها أغنية وطنية مطلعها :

أنا مصر انظر لى وشوفنى   أنا اسمى مصر المحروسة

***

لقد أدى محمد القصبجي واجبه بأمانة وإخلاص نحو هذا الفن الذى ينتمى إليه ومات مرتاح الضمير قرير العين ، وعلينـــا نحن أصدقاؤه وتلاميذه أن نرد إليه بعض الجميل ، فنذكره دائماً ، لا بالخطب والكلمات ، وإنما بإحياء روائعه وكنوزه الفنية التى خلفها ، وتقديمها غذاء لأرواح هذا الجيل الذى يتلمس موسيقانا القديمة فلا يجد منها ما يروى غلته ، ويشبع نهمه .

من قصيدة للأستاذ / مصطفى على نصر

غاب نجم الجيل فى أفق الفنون   وسناه لم يزل ملء الجفـــون
ليت شعرى – ماعهدنا كوكبا   يغرب عنا ، وهو فى مرأى العيون
إن يكن قد غاب عنا جسمـــه   فهو بالروح يرى عين اليقين

***

ترك العــــــود على سماره   واجف القلب تواتيه الظنــون
يسأل الجدران فى وحشتهـــا   لم لا يسمع فى البيت رنين
يسأل الأوتار عن ريشتهـــا   ويد كانت لشيخ العازفين
ومتى يخرج من أكفانــــه   ولماذا هو فى الكيس سجـين
ثم يشكو صارخا مستنجــدا   إننى أقتل فى هــذا السكون
أين ربى أين من كان معى   أين من فى حبــه الروح تهون
ضمنى ضمة أرباب الهــوى   نحو قلب نبضه صــوت اليقين
ضمنى ضمة حب والــــه   نحو صدر خالص الود أمــين

من كلمة نقابة المهن الموسيقية
للأستاذ محمد محمود فهمى
سكرتير عام النقابة

أيها الأخوة الزملاء :

منذ أربعين يوماً مضت ، فقدنا أخاً عزيزاً ، وفناناً كبيراً ، ورائداً من رواد الموسيقى العربية ، هو الموحوم الأستاذ محمد القصبجى ، ذلك الرجل الذى وهب حياته للعمل الخلاق بكل طاقاته لخدمة الفن ، وبفقده خسرت الموسيقى العربية عاماً من أعلامها الخفاقة ، وعالماً فذاً قدم أروع ما يقدم من مؤلفات عديدة ، بل تخرج على يديه نخبة ممتازة من الفنانين الذين برزوا فى الحقل الموسيقى ، ونحن هنا فى هذا المجال إذا تعرضنا لأعماله الموسيقية سوف يطول بنا الحديث ، لأن أعماله فى الواقع تحتاج إلى وقت كبير ، لهذا سوف نتعرض لحياته على سبيل المثال فقط .

كان رحمه الله مجدداً فى عمله دائماً ، شعلة من النشاط برغم تقدم سنه ، بالإضافة إلى ثقافته وعلمه الغزير المتطور ، .

وكان رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة الكريمة ، والصفات الحميدة ، التى نفتقر إليها الآن ، لقد عاش بين أسرته وأصدقائه وزملائه كريماً ، ومات كريماً ، لقد كان المرحوم من أبر الناس بأسرته وأصدقائه ، فقد وقف حياته عليهم .

وقد مات القصبجى عن حياة مليئة بالجهاد والكفاح ، والإنتاج الموسيقى الذى سيصبح زخراً ومرجعاً ، فى مكتبة الفن للأجيال القادمة .

من كلمة الجمعية المصرية لهواة الموسيقى
للسيدة الأستاذة بثينة فريد

إن القصبجى كان أمة وحده ، نشأ مدرساً ولكن طموحه ومواهبه والخواص الكامنة فى أعماقه أبت إلا أن تبين للناس حقيقة أمرها .

لقد خرج بنا من معنى الأناشيد الذى كان سائداً فى بدء النهضة الموسيقية إلى تصوير المعانى وإبراز خلجات النفس حتى لتبدو ماثلة لا فى السمع فقط بل أمام العين .

أستعرض أيها السادة ما أداه الفقيد الكريم للفن فنرى أنه أنتج ما يكاد يجل عن الحصر .

سمعته عازفاً فكأنما الآلة خطيب يتكلم فيشجى سامعيه ، عاصرته ممتحناً لآلة العود فى المعهد العالى للتربية الموسيقية فاكتشفت فيه تربوياً متيناً أميناً ، بارعاً دقيقاً ، يناقش زملاءه فى كل دقيق وخفى من أسرار تلك الآلة ، فكنت أحرص ما يكون على حضور المناقشات التى تثار بعد الامتحان لأنها كانت بمثابة ندوة تعلمت فيها الكثير من دقائق تلك الآلة وإمكانياتها من أستاذ الجيل المرحوم القصبجى .

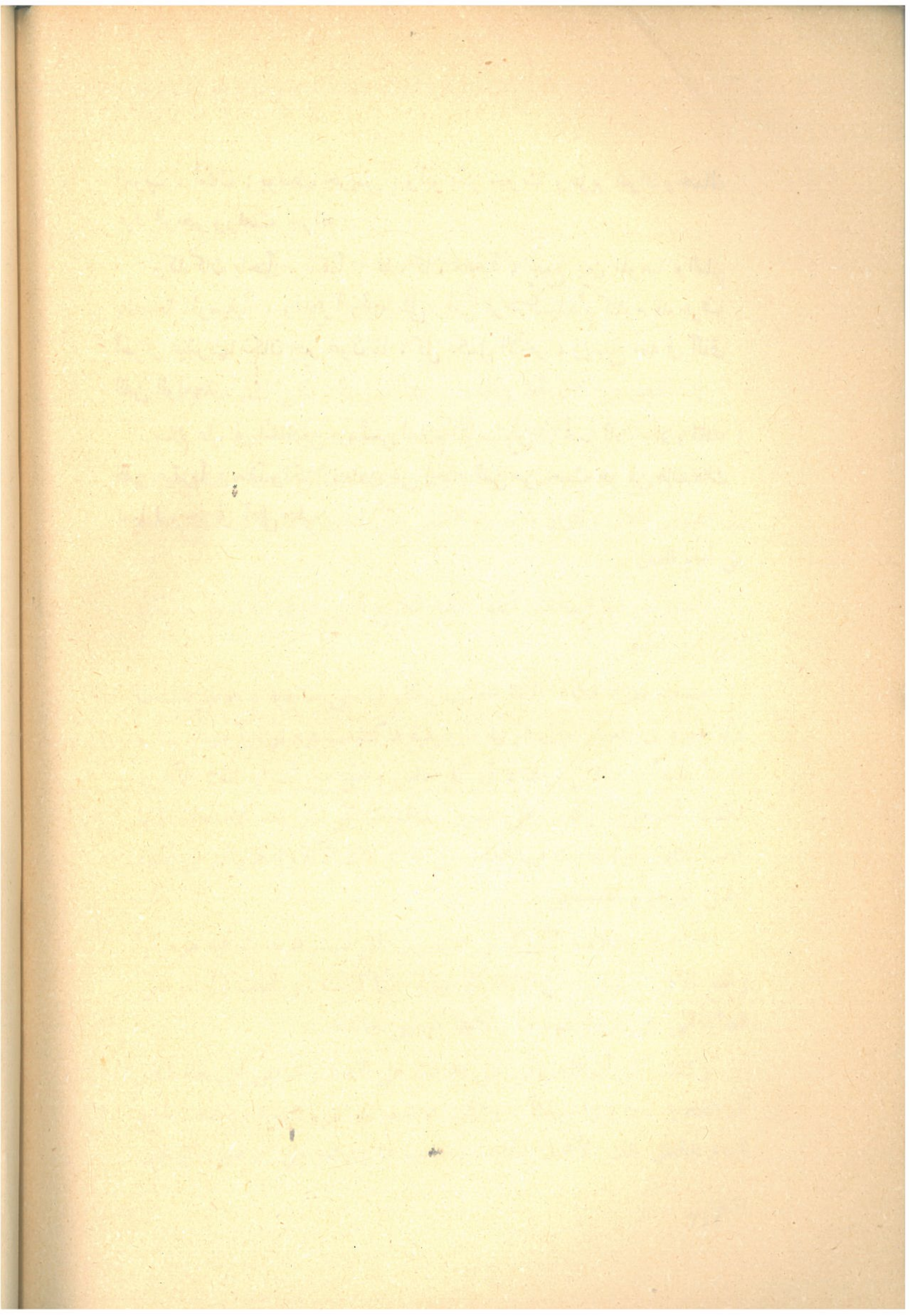
قابلته فى حفلات الأوركستر السيمفونى كل سبت فوجدت فيه موسيقياً واسع الأفق ، يبحث عن الثقافة الموسيقية حيثما كانت ، وينصت إلى الموسيقى العالمية التى هى قريبة عهد بنا ولكنها موسيقى خالدة .

وكنت أظن أن القصبجى يمثل المحافظة على القديم ويحرص على بقاء النغم كما تلقاه وسمعه شاباً مبتدئاً ، ولكنى دهشت وراعنى تفهمه ويقظته ونقده البناء لدقائق تلك الأعمال الخالدة وخاصة ما يعزف من موسيقى المؤلفين

العرب ، أمثال : يوسف جريس ، وأبو بكر خيرت وعزيز شوان وجمال عبد الرحيم ورفعت جرانه .

وكما كان باحثاً موسيقياً ، فقد كان ملحناً ، يجمع بين الموهبة والعلم بالصنعة الموسيقية ، وأخيراً رأيته على رأس فرقة السيدة أم كلثوم قد عرف أسرار عبقريتها فكان خير عون لها ، كل يكمل الآخر ، ويسبح معه فى آفاق الفن الواسعة .

سلام عليه فى الخالدين علماً من أعلام الموسيقيين .. خسرناه رجلا وفقده الفن عبقرياً ، حقاً ولكننا نتعاهد على إحياء الفن من حيث هو فن فإن ذلك نعيما لروحه فى أعلى عليين .



ألحانه

موشحات . أدوار . قصائد

منلوجات . طقاطيق

مرتبة ترتيباً هجائياً

الأدوار

	تأليف	غناء
الحب له فى الناس أحكام	محمد القصبجى	توحيدة وزكى مراد
الحب مخلوق للتهذيب	» »	محمد نور
القلب طاوع عيونى	» »	محمد نديم
جمالك يا رشا زانه كماله	» »	أمين حسنين
حبيت جميل حسنه فتـــان	» »	» »
سلمت قلبي للى غدر به	» »	» »
على ضى القمـــر والكاس	يونس القاضى	» »
فؤادى المتيم شجـــون	محمد القصبجى	» »
ماليش مليك فى القلب غيرك	» »	زكى مـــراد
وطن جمالك فؤادى يهون عليك ينضام	أحمد عاشور	
يا قلب ليه سرك تذيعه للعيون	محمد القصبجى	
يا قلبى فضلك م اللى جرى لك	»	أمين حسنين
ما يعجبوش حبى العجب	»	»

الموشحات

مرعيش هان لمحب هان مغرم ولهان فى الهوى العذرى

— مقام جهاركاه — أصول سماعى دارج :

القصـــائد

	تأليف	غنـــاء
أبثك وجدى يا حمام	أحمد شوقى	فتحية أحمد
اتحاد الشعب حصن لعلاه	الصاوى شعلان	كارم محمود
ارسلى يا كوكب الشرق الأغانى (نشيد)	الصاوى شعلان	المجموعه
اسقنيها بأبى أنت وأمى	بشارة الخورى	أسمهان
إن حالى فى هواها عجب	أحمد رامى	أم كلثوم
إن يغب عن مصر سعد (رثاء)	أحمد رامى	أم كلثوم
انا الجندى	سعد سرور كامل	المجموعة
أوقفى الركب يا رمال البيد	عمر أبو ريشه	سعاد محمد
إياك نعبد ما حيينا	أحمد مخيمر	وردة الجزائرية
أيقظت فى عواطفى وخيالى	أحمد رامى	أم كلثوم
أين الليالى اللواتى سببت سقمى	إسماعيل صبرى	أسمهـــان
بشرى الآفاق بالصبح الجديد	مصطفى عبد الرحمن	فتحية أحمد
تبسم ثغر الصبح	على الجـــارم	عبد الغنى السيد
خفق الروح بين تلك الروابى	عبد الرحمن الخميسى	إسماعيل شبانه
سلوت والقلب غير سال	على الفتى	فايدة كامـــل
عشت كالتائه لا أدرى لمن أحيا الحياه	إيليا أبو ماضى	
عيد ميلادك وضاح السنا	مصطفى عبد الرحمن	اسمهان
طائر بالليل راعى الأنجما	عبد الفتاح مصطفى	لوردكاش
سل الليل عن سهدى ووجدى ومدمعى	إسماعيل صبرى	
فجر أطل على الوجود فأطلعا	محمد الأسمر	فايدة كامل
لست أنسى يا حبيبى	محمد على أحمد	« »
ليت للبراق عينا فترى	من الشعر القديم	حياة محمد، إبراهيم حمودة أسمهان

	تأليف	غنـــاء
ليال حسان وشهر أمان	محمود حسن إسماعيل	آمال حسين
هات أشعارك نجم الفلك	محمد الأسمر	عبد الغنى السيد
هات لى النور زوديتى	محمود حسن اسماعيل	نازك
هللى ياربى المدينة بسجى الأطلال والأنداء	عمر أبو ريشه	فتحية أحمد
يادعاة الحق (نشيد)	أحمد رامى	غناء فايدة كامل
يا قلب ليتلك حين لم تدع للهوى	الشريف الرضى	نازك
ياهاجرى من غير ذنب فى الهوى	محمودسامى البارودى	آمال حسين
يا بلادى حطمى قيد الليالى	مصطفى عبد الرحمن	نجاة على

المنلوجات

	تأليف	غنـــاء
أخذت صوتك من روحى	أحمد رامى	أم كلثوم
أشكى منك واشتكى لك	أمين عزت الهجين	فتحية أحمد
الأوله قلبى	أمين محفوظ	نجاة على
الشك يحيي الغـــرام	أحمد رامى	أم كلثوم
الليل يطول ع اللى كتم نار الهوى	رشدى ماهر	صالح عبد الحى
إن كنت أسامح وأنسى الأسية	أحمد رامى	أم كلثوم
انظرى هذى دموع الفرح جالت فى فى عيونى	» »	» »
أيها الفلكِ على وشك الرحيل	» »	» »
بسهر حبى باحت عنى ودموع غرامى شهدت على بشير الربيع	عبد الفتاح مصطفى	نـــادرة
طالت ليالى البعاد	أحمد رامى	أم كلثوم
بلادى جنة الدنيا	مصطفى عبد الرحمن	شهر زاد
جفاك الحبيب	أحمد رامى	أم كلثوم
حيرانه ليه يادموعى	» »	أم كلثوم
خاصمتنى وأنا حيران فى أمر الخصام	» »	» »
خلى الدموع دى لعنىّ	» »	» »
خيالك فى المنام حلمى	» »	» »
رق الحبيب وواعدنى يوم	» »	» »
زارنى طيفك فى منامى	» »	» »
سر السعادة فى شفتيكِ	» »	نجـــاة على
سكت والدمع اتكلم	» »	أم كلثوم
شدو بلبل على الغصون	محمد إسماعيل	فتحية أحمـــد

	تأليف	غنـاء
شوف الشفق باكى على	أحمد رامى	نجـاة على
طالت ليالى البعاد	» »	أم كلثوم
عينى فيها الدموع	» »	أم كلثوم
فين العيون اللى سبتنى	» »	أم كلثوم
كتمت حبك فى ضلوعى وأنا باتألم		فتحية أحمـد
كنت الأمانى من زمان من قبل ماتشوفك عيونى	يوسف بدروس	أسمهـان
لاح نور الفجـر		
يا حياتى ليه تميلى لغيرى وتخونى العهود	حسن عادلى	منيره المهـدية
ياحلو ياللى تشبه القمر	محمد راغب	عبد اللطيف البنا
يا ريتنى كنت النسيم اللى يداعب شعورك	أحمـد رامى	أم كلثوم
يا طيـور غنى حبى	يوسف بدروس	أسمهـان
يا عشرة الماضى الجميل يا ريت تعودى	أحمـد رامى	أم كلثوم
يا غائبا عن عيونى وحاضرا فى خيالى	أحمـد رامى	أم كلثـوم
يا قاسى سهم لحظك صاب	غالب المهندس	فتحية أحمـد
يا للى انت جنبى وانت بعيد	أحمـد رامى	أم كلثـوم
يا للى شديت بالأغانى	محمد الأسمـر	نـادره
يا للى غيابك طال امتى تشوفك عيونى	أحمـد رامى	حياة محمـد
يا للى راعيت العهود	» »	أم كلثوم
يا للى جفاك المنام	» »	» »
يا للى فى حبك بنيت الأمانى	محمد القصبجى	أسمهـان
يا ما ناديت من أسايا	أحمـد رامى	أم كلثـوم
يا من أنادى بلحنى	» »	ليلى مـراد

الطقاطيق

	تأليف	غنـــاء
ابتسامتك ياحلاوة ابتسامتك	عبد العزيز سلام	مديحة عبد الحليم
أحب أقول اللى ف بالى	أحمد رامى	أم كلثـــوم
آخر موده بعينى شفتها		
إدينى قلبك اصبر به . على بال ما يجى اللى باحبه		
اسمع أغانى المهدية		منيرة المهدية
اطفى النور خلينا ننام . الساعة دلوقت دقت واحدة تمام		
البعد طال والله على	أحمـــــد رامى	أم كلثوم
الحب باين فى عنيكى مهما داريت وقلت سليت	اسماعيل سعيد	فتحية أحمـــد
الخصام ممنوع والزعل مرفوع	محمد حسن	ضحى إبراهيم
الصلح خير باملك قلبى	عبد العزيز سلام	رجاء عبده
الفن من فرحة أهله حالف ما ينام	محمد على أحمد	سعـــاد محمد
الله على الحب لما يروق ويحلا صفاه	عبد الفتاح مصطفى	« «
الله عليها ساعة العصارى		
أما نكتة وحتة فصل ؟		
أماه يانسمة عليكى	عبد العزيز سلام	ليلى مراد
سكرة وكانت ملهاش أصل		
أنا أعمل إيه فى شبكتى		
أنا الحبيبه صدقنى كل العواذل تكرهنى	على شكرى	فتحية أحمـــد
أنا يوم ما أشوفك يوم عيدى		
إن كان فى غرضك		

	تأليف	غنـاء
أنا بدى أعرف إيه ذنبى		
أنا عندى أمل تنسى اللى حصل		نعيمة المصرية
أنا كنت سايحة وسكرانه .		
إن كنت شارينى ما تبعنيش		رتيبة أحمـد
أنا قلت نكتة تساوى جنيه		
انا وانت شفنا يومين	إبراهيم كامل رفعت	محمـد عزمى
إنت عارفنى ولا ناسى . بعدك كان على عينى وراسى		
إنت فكرانى والا نسيانى	أحمـد رامى	أم كلثـوم
آه من الهـوى	عبد العزيز سلام	عصمت عبد العليم
آه يا رسمى حبك هوسنى .		
آه يانا طال الجفـا		نعيمة المصرية
أهلا وسهلا شرقى امتى		« «
أهون عليك توحشنى عنيك		
إيد تشيل وإيد تحط . بسبس نو شغلنى القط		
إيه اللى جرى فى المندره		رتيبة أحمـد
إنزلى عنه خلينى أرنه		زكية المغربية
باحبك وانت مش دارى	أحمـد رامى	أم كلثوم
باين عليك إنك عاشق وبتنكر ليه	محمد الأسمـر	نـادرة
بتحب ليه وبتشكى ليه	جليل البندارى	شهر زاد
بتشاغلنى وانشغالى يزيد هوايا	سيد عبد الباسط رضوان	نجـاة على
بعد السبعين بتحب ليه . وبس مستعجل على إيـه		رتيبة أحمـد
بعد العشا يحلا الهزار والفرفشه	محمد يونس القاضى	منيرة المهديه
بنسوار يا مدام بنسوار . قلبى مولع زى النار		
بوس يا حبيبى		
تبعينى ليه كان ذنبى إيه	حسين حلمى المناسترلى	أم كلثـوم

	تأليف	غنـــاء
تحت الجفون ياما العيون بتطوى أسرارها	إمام الصفطاوى	سعاد محمـــد
تحير ها تدير ها أهى مره ما فيش غيرها		رتيبه احمـــد
تراعى غيرى وتتبسم	أحمـــد رامى	أم كلثـــوم
تسع سنين وأنا باستنى ع الجمر ياناس		
تشوف أمورى وتتحقق	أحمـــد رامى	أم كلثـــوم
تعالى نعيش حياة ثانية . فى جو بعيد عن الدنيا	إبراهيم كامل رفعت	هيام عبد العزيز
تغضبنى وأصالحك تتعبنى وأريحك	على سليمان	سعاد محمـــد
جوزى وعدنى بالمخبى		
حبك فى الأول غير دلوقت	عبد العزيز سلام	شهر زاد
حبيت جمالك		ليـــلى مراد
حبيبى طمنى حتيجى وترحمنى		
حبيت ولا بانش على	أحمد رامى	أم كلثـــوم
حرمت اقول بتحبينى	أحمـــد رامى	أم كلثوم
حرموها منى وحرمـــونى	إسماعيل سعيد	فتحية أحمـــد
حيرانه ليه بين القلوب (١)		نـــادره
حيرتنى فى الحب معاك	عبد العزيز سلام	عصمت عبد العليم
حيرانه ليه يا دموعى	بيرم التونسى	
خلى الشباك يانينه مفتوح . تيجى نسمه منه ترد الروح		
خليك معايا لآخـــر الليل		
خلينى أحبك كده من بعيد	عبد العزيز سلام	سعاد زكى
دور يا زمانى دور ــ هات الفرح والنور	محمد على أحمـــد	سعاد محمـــد
راح تلتقيها منين ومنين .		

(١) لحن القصبجى هذه الطقطوقة من مقام الحجاز كاركرد للمطربة نادرة كما لحنها داود حسنى للمطربة ليلى مراد .

	تأليف	غنـــاء
والقلب داما يساعش اثنين	حسين حلمى المناسترلى	فاطمة سرى
رضى الحبيب عنى وجالى		فتحية أحمــد
طلت الهوى وارتاح بالى	أحمــد رامى	« «
رفع الستارة داله أوقات .		
رق قلبى آه يا حبيبى . لك وهجرى صار حرام		
روح كلامك من حنينى	أحمــد رامى	آم كلثوم
ساعة الصبح الجميلة	عبد الفتاح الشرقاوى	هند علام
شال الحمام حط الحمــام	يونس القاضى	منيرة المهديه
شاور عقلك وتعالى قوللى	« «	سمحه بغدادى
شفت الهنا ورق زمانى	أبو السعود الإبيارى	نجاة على
شوفوا بعينى	حسين حلمى المناسترلى	ملك
شوفوا دلعه شوفوا فكره . قال إيه خصمنى وباعت لى صورته		
صحيح خصامك والا هــزار	أحمــد رامى	أم كلثــوم
صدق وحبك مين يقول	« «	« «
صعبان على ياقلبى قساك ـ بتحب وتدارى شكواك	عبد العزيز سلام	
طول الجمعه أداديها . وليلة الحد أفرح بيها .		
على أد ما كنت أجافيك .		
أنا كنت أفكر فيك	إمام الصفطاوى	نادية نــور
عقلك فى راسك تعمل خلاصك		فاطمة سرى
عنيكى قالت لعينى . الحب مش حاجه		
خفيــة	إسماعيل سعيد	فتحية أحمــد
عينى بترف خير ان شا الله		فاطمـــة قدرى
غالى والطلب رخيص		نعيمة المصرية
غاير عليكى ياللى هويتك	عبد العزيز سلام	ابراهيم حموده
فى وحب الحياة	حيرم الغمراوى	شهر زاد
فرق ما بيننا ليه الزمان	على شكرى	أسمهان
فشر مين يقول لك على انى محكومة دنا حرة ومفهومه		

	تأليف	غنـــاء
فين أيامكو الحلوة دى فين	ابراهيم كامل رفعت	هيام عبد العزيز
فى يوم ما أشوفك راضية عنى	يوسف بدروس	أسمهـــان
قال إيه حلف ما يكلمنيش	أحمد رامى	أم كلثـــوم
قبل الحنه بست أيام .		
قابلنى على باب الحمام	يونس القاضى	رتيبة أحمد
قساوة وإلا غيرة	على سليمان	سعاد محمد
قصاد عينى لكن مش ليه	إبراهيم كامل رفعت	فتحية أحمــــد
قطفنا الورد والياسمين	مصطفى عبد الرحمن	عباس البليدى
قولولى امتى حتهنى وأشوف الدنيا دى جنة	موسى السيد محفوظ	فتحيـــة أحمد
كان بدى أقابلك	مصطفى عبد الرحمن	سعاد مكاوى
كلمة يا نور العيون	يوسف بدروس	أسمهـــان
كفاية اللى شفته ولا مرة يعطف	يونس القاضى	فاطمة سرى
كفاية تبقى فاكرنى واغنى وانت سامعنى	مصطفى عبد الرحمن	
كل شىء قسمة والحب دا نسمة	عبد الفتاح مصطفى	سعاد محمـــد
كوانى الحب عقبال كل لا يم . يجرب ويقدر متيم وهايم		
لاتقوللى زيئى ولا ميئى . ولا تقف فى طريقى		رتيبه أحمـــد
لامونى الناس على حبى وليه يا ناس تلومونى	حسين حلمى المناسترلى	ملك
لامونى والهوى مكتوب	على الفقى	نجاة على
لا والنبى وحياة حبك		سكينة حسن
لو تهجرينى أنا الكسبان من قبل ما تروح الأطيان		عزيزة حلمى
لوم العوازل يحلالى . يا ريت يلوموك عزالى		
ليلة ماجه فى المنتزه	يونس القاضى	منيره المهديه
ليه تلاوعينى وانت نور عينى	أحمد رامى	أم كلثـــوم

	تأليف	غنـاء
م السنة للسنة يا حلو لما أنظرك		نعيمة المصرية
ما تروق دمك مين حيهملك	أحمد رامى	أم كلثـوم
ما تقوم م النوم يا حبيبى .		
الصبح نورع البستان	رشدى ماهر	صالح عبد الحى
ما كانش يخطر على بالى	أحمد فتحى	فتحية أحمـد
ما يجيش زيى إن لف الكون	يونس القاضى	منيرة المهدية
متنا فى حبك يا نور العين	أحمـد رامى	أم كلثـوم
محتار يا ناس فى دى الغرام	أحمـد رامى	أم كلثـوم
مدام تحب بتنكر ليه	« «	« «
من بعد ١٣ سنه	يونس القاضى	منيرة المهدية
مين اللى قالك تهوانى	عبد العزيز سلام	نجـاة على
ميعاد حبيبي معايا بكرة	« «	عصمت عبد العليم
مين عذبك بتخاص منى		
وذنبى إيه بتعاند فى (١)	أحمد عبد المجيد	سهـام
نسيتنى أيامى بين الأسى والشجن	مرسى جميل عزيز	حورية حسن وسميحة القرشى
نظرة يا هانم على شمالك . هو الحب جاش على بالك		
نويت أحبك طول عمرى	يوسف بدروس	شهر زاد
هز يا وز إنت ابن العز —		
هو الكلام صعبان عليك — عمال أعاتبك ماتردش		رتيبة أحمـد
هو اللى يحب ينسى الحبيب .		
إسأل مجرب ولا تسأل طبيب	محمد خليل حسن	فضيلة رشدى
ولحد إمتى حتدارى حبك	أحمـد رامى	أم كلثـوم
ولسه يا قلبي ولسه ولسه	محمد على أحمد	نـازك
وطنى أنا بالروح أفديه		

---

(١) للاستاذ محمد عبد الوهاب (طقطوقة) مطلعها : مين عذبك بتخلص منى وذنبي أيه بتعذب فى ، تأليف : أمين عزت الجهين .

	تأليف	غنـاء
حب الوطن ده من الإيمان		منيرة المهدية
والله زمان يا دلعدى ماشفنا ليله زى دى		
والنبي يا ناظرتى تعزمى تلامذتى . وتشرفى عندنا فى ليلة دخلتى		رتيبة أحمد
يا بدر خالك والوجنات . ورمش عينك سبونى		
يا بناتنا يا عصافير الجنة . انتو اتخلقتوا علشانا		
يا جدع انت ابعد عنى الدبوس		
يا خاينه ودى زويت انساكى	عبد العزيز سلام	ابراهيم حمودة
يا خى فضها مالك بها		محمد أنور
يا رب يا واحد سبحانك	إبراهيم كامل رفعت	هيام عبد العزيز
يا روحى بلا كتر أسية ما تفرحيش		
الناس فىّ	أحمد رامى	أم كلثوم
يا ساقيني ومشتت بالى .		
انعطف واشفق على حالى	أبو بثينة	عصمت عبد العليم
يا ريتنى يا ريت ما حبيت وقلت لك إنى باحبك		
يا ريتنى أنسى الحب يا ريت		ليلى مراد
يا سلام سلم على حبك	محمد على احمد	سعاد محمد
يا سلام على بنات الحمام . سلبوا عقلى ما عادت أنام		
يا شاغل بالى عقبالك	أحمد عبد المجيد	برلنتى حسن
يا شاغل بالى يا هاجرنى	» »	فتحية أحمد
يا شاغلنى ببعدك يا شاغلنى	أحمد رامى	وجنات فريد
يا عيونى ساعدينى	حسين حلمى المانسترلى	
يا طير يا طاير على فين مسافر . بلغ سلامى للحبيب		عقيلة راتب
يا فايتنى وانا روحى معاك	أحمد رامى	أم كلثوم
يا قلبى اصبر على دى الاسية	يونس القاضى	منيرة المهدية
يا قلبى بكره السفر	احمد رامى	أم كلثوم

	تأليف	غنـاء
يا قلبى ما لك ساكت ليه		نادية فهمى
ياللى إنت عايش مستنى علشان أهواك	سيد مرسى	عواطف شريف
ياللى ارتضيتك لروحى	عبد العزيز سلام	سعاد زكى
يا للى اشتكيت للناس منى	إبراهيم كامل رفعت	هيام عبد العزيز
ياللى بتحبينى ليه كده تعاندينى	عبد العزيز سلام	رجاء عبده
يا عاشقة الليل وسهرانه	حيرم الغمراوى	محمد عبد المطلب وفاطمـة على
يا للى جفيت ارحم حالى	أحمـد رامى	أم كلثـوم
يا للى شغلت البال	» »	» »
يا ماجه ويا ما راح		سمحة بغدادى
ياما شكيت م اللى ف قلبى	أحمـد رامى	ام كلثوم
يا ما ليه جوزتينى . حبى ينادينى أقول له إيه		
يا مدموزيل عواطفك فين . والحب دا كان جالى منين		
ينوبك إيه من تعذيبى	أحمـد رامى	أم كلثـوم
يا محلا يا بيه		محمـد أنور
يللى للعقول منك تاهت	ابو بثينه	نجاة على
يا للى تحب الحياه عيش بالأمل تلقاه	حيرم الغمراوى	شهر زاد
ياللى فؤادك هداك	عبد العزيز سلام	رجاء عبده
يا هنا قلبى وهنايا		

اغـاني الأفلام

	تأليف	غنـــاء
الضحايا عام ١٩٣٢		
يوم الصفا والوداد	عبد الحميد حمدى	ليلى مراد وأحمد عبد القادر
الاتهام عام ١٩٣٣		
ليه يا زمان بتبليني بالذل بعد الأمان	حسين حلمى المناسترلى	سيدة حسن
ننه نامى يا حبيبتى روحى نامى	» » »	بهيجة حافظ
يا ساقيه ليه البكا	» » »	محمد القصبجى
وداد عام ١٩٣٥		
يا بهجة العيد السعيد	أحمـــد رامى	أم كلثـوم
يا للى ودادى صفالك	» »	» »
ليه يا زمان كان هوايا	» »	» »
يا طير يا عايش أسير	» »	» »
ليلى بنت الصحراء عام ١٩٣٦		
ليت للبراق عينا فترى	الشعر القديم	حياة محمد وإبراهيم حمودة
غاب عن عينى حبيبى	حسين حلمى المناسترلى	حياة محمد
ملكت روحى فما أقساك مالكة	» » »	إبراهيم حمـــودة
يا حبيبى هل ترى لوع الوجد حشاك	» » »	حيـــاة محمد
يا لوعة المشتاق إذا جفاه التلاقى	» » »	أحمد عبد القادر
يا ظبية فى الوادى صبا إليك فؤادى	» » »	» » »
نشيد الأمل عام ١٩٣٦		
منيت شبابى	أحمـــد رامى	أم كلثـوم

	تأليف	غنـاء
يا مجد يا ما اشتهيتك	أحمـــد رامى	أم كلثـــوم
يا للى صنعت الجميـــل	» »	» »
نامى يا ملاكى	» »	» »
ليله ممطرة عام ١٩٣٧		
يا قلبى مالك ليه فرحان		ليلى مراد
يابدر نورك سبانى		» »
يا قلبى اصبر ع الأسيه		» »
فرح فؤادى برؤياك		» »
دنانير عام ١٩٤٠		
طاب النسيم العليل	أحمد رامى	أم كلثوم
الزهر فى الروض ابتسم	» »	» »
الشمس مالت للمغيب	» »	» »
يا فؤادى غن ألحان الوفاء	» »	» »
ليلى (غادة الكاميليا) عام ١٩٤١		
بتبص لى كده ليه	» »	ليلى مـــراد
عايدة عام ١٩٤٢		
الفصل الأول من أوبرا عايدة	أحمـــد رامى	أم كلثـــوم
عطف حبيبى وهنانى	» »	» »
برلنتى عام ١٩٤٣		
يوم رضاك اليوم يا قلبى	بيرم التونسى	نور الهـــدى
الليلة ليلة الأفراح	» »	» »
جربنى فى هـــواك	» »	» »
كل يوم يزداد حنان قلبى	» »	نور الهدى
من يوم ما عطف على	» »	» »

	تأليف	غنـــاء
ليلى فى الظلام عام ١٩٤٣		
يا حبيبى ارجع لى قوام	زكى إبراهيم	ليلى مـــراد
آه يا خوفى لو بابا شافنى		» »
حبيبى قاعد وسطكم	زكى إبراهيم	ليلى مـــراد
اتمتعوا بالحياة بارضها وبسماها	مأمون الشناوى	» »
يا رب يا عالم بالحال	» »	محمد القصبجى
يسقط الحب عام ١٩٤٣		
أنا ملك ايديكى بالروح أفديكى	صالح جودت	إبراهيم حموده
يا للى واقف ع البر حاسب من بحر الهوى	» »	» »
الأبرياء عام ١٩٤٣		
يا هاجرنى وطيفك فى خيالى	أحمد بدرخان	رجاء عبـــده
حسن وحسن عام ١٩٤٤		
يا خاين ودى يا قاسى	عبد العزيز سلام	ليلى حلمى
وحيدة عام ١٩٤٤		
سلامات سلامات يا أهل المدنية	السيد زيادة	عبد العزيز محمود
صوت الهوى نادانى وأنا لبيته من قلبى	» »	» »
حنان عام ١٩٤٤		
يا ترى نسى ميعادى ليه	أبو السعود الابيارى	فتحية أحمـــد
ليلة الجمعة عام ١٩٤٤		
أنا قلبى يحبك	عبد العزيز سلام	إبراهيم حمودة
فضلت أدارى واخبى	يوسف بدروس	» »
بتبكى ليه ياملاكى	عبد العزيز سلام	» »
شهداء الغرام عام ١٩٤٤		
يكفى بكا يادموع العين مادام عرفت		

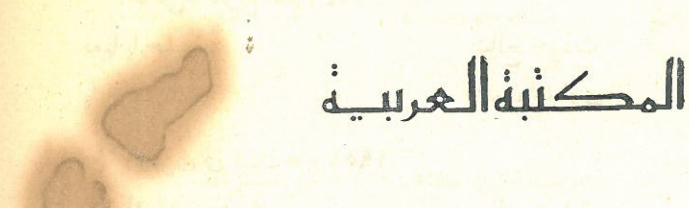
	تأليف	غنـاء
حبيبك فين		ليلى مـراد
يا راحلا وخيالى فى جو ذكراه يسرى		»
يا قلب ليه اكتب لى يبقى عدوى حبيبى		ليلى مـراد وابراهيم حمودة
يا للى ملكت الفؤاد صار هواك مناى		إبراهيم حمـودة
غرام وانتقام عام ١٩٤٤		
أنا اللى أستاهل كل اللى يجرالى	بيرم التونسى	أسمهـان
إمتى حنعرف إمتى	مأمون الشناوى	»
أول الشهر عام ١٩٤٥		
كدة برضه كده تخدعنى كده	عبد العزيز سلام	صبـاح
يا عذابى يا نارى محتاره ياربى	بديع خيرى	»
ليلى بنت الفقراء ١٩٤٥		
مش ممكن اقدر اصالحك	حسين السيد	ليلى مراد
قلوب دامية عام ١٩٤٥		
إمتى الفرح واتهنى معاك	جليل البندارى	نـوال
حيرانة أشتكى لمين شكوة فؤادى الحزين	» »	»
أحب البلدى عام ١٩٤٥		
يا طول بكايا على حبيبى	أبو السعود الإبيارى	
ليه يا زمان حكمك قاسى	» » »	
أنا على باله والا ناسينى	» » »	
أنا وابن عمى عام ١٩٤٥		
الوردة	مأمون الشناوى	صباح
مكسوفة أقول له ليكسفنى	صالح جودت	عقيلة راتب
أنا سايبة الدنيا يا حبيبى وجيتك	صالح جودت	عقيلة راتب

	تأليف	غنـاء
الحياة كفاح عام ١٩٤٥		
بتحبني قد ما أحبك		
إن كان كده طمن قلبك	مصطفى السيد	أيلي مـراد
خضره وميـه	» »	
الحظ السعيد عام ١٩٤٥		
شفت الهنا ورق زماني	أبو السعود الابياري	نجاة علي
مجد ودموع عام ١٩٤٥		
قيدوا الشموع واسقوا الشربات	صالح جودت	نور الهدى
فين الحبيب اللي اتمناه	مأمون الشناوي	» »
ضربة القدر عام ١٩٤٦		
يا جمال العصفور يا بهاه	عبد العزيز سلام	ليلى مـراد
يا صحبة الورد النايمة	» »	» »
بعد العذاب ارتاح البال	» »	» »
غدر وعذاب عام ١٩٤٦		
سلوى ياروح ماما ياسلوى		نور الهدى
قلبي دليلي عام ١٩٤٧		
أنا قلبي دليلي	أبو السعود الابياري	ليلى مـراد
إضحك كر كر	» »	» »
قبلني يا أبي عام ١٩٤٧		
يا للي تحب الفل	مأمون الشناوي	نور الهـدى
فتاة من فلسطين عام ١٩٤٨		
الهلال الأحمـر	بيرم التونسي	سعاد محمـد
بنت البلد	» »	» »
حدث ذات ليلة عام ١٩٤٨		
هوه وأنا	مأمون الشناوي	هدى سلطان

	تأليف	غناء
فاطمة عام ١٩٤٨		
يا صباح الخير يا للى معانا	بيرم التونسى	أم كلثوم
نورك يا ست الكل	«	«
يا للى انحرمت الحنان	أحمد رامى	أم كلثوم
المستقبل المجهول عام ١٩٤٨		
احكيلى يا ورد وقوللى يا ورد	جليل البندارى	نور الهدى
شاطىء الغرام عام ١٩٤٩		
نعيما يا حبيبى	صالح جودت	ليلى مراد
يا ختى عليه	مأمون الشناوى	«
مصرى فى لبنان عام ١٩٥١		
مبارك يا فى مصرى	صالح جودت	نور الهدى
جحا عام ١٩٥٧		
امشى بسرعه قوام ياحمار	عبد العزيز سلام	

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة



المكتبة العربية

— ١١٦ —

التأليف	[٨٠]
التراجم	[١]

القاهرة

١٣٩١ هـ – ١٩٧١